استرداد الارض المقدسة
القسم الأول

obeikandl.com

obeikandl.com

إلى أدوارد الأمير المسيحي الأعظم، والأكثر تألقاً، الذي هو بنعمة الرب ملك انكلترا واسكوتلندا، وسيد ايرلندا، ودوق أكوتين، والمشهور أكثر لقدراته العسكرية منه في ألقابه الأخرى كلها، يرسل إليه المحامي عن قضاياه اللاهوتية في تلك الدوقية، بتحياته، باسم الذي من خلاله يحكم جميع الملوك والأمراء، وهو منذ زمن طويل متشوق لخدمة جلالتكم الملكية، ويدفعه نحو ذلك تقدير طبيعي أصيل، واعجاب بفضائل جلالتكم، وليس بدافع مادي، لأنه ليس هناك من طلب أو عرض، وهو بإخلاص يأمل بأن يتمتع جلالتكم بمزيد من الانتصارات.

١[1]: إنني أعرف بشكل جيد، أنكم كونكم ملكاً عالي التفكير، وممجدا ومشرعاً حقيقياً، ليس منذ بداية حكمكم، بل من اللحظة ذاتها التي بدأتم فيها حياتكم العسكرية، فأنتم منذ تلك الساعة تبذلون عظيم الجهد لصنع رجال جيدين من بين جميع رعاياكم، ومن المقربين منكم، ومن المرتبطين بكم، ولقد أنجزتم هذا ليس عن طريق مجرد التهديد بالعقوبة، بل عن طريق إدامة تقديم الأعطيات الثمينة، والآن وقد انتهت جميع حروبكم بنجاح، بفضل من الرب ملك الملوك، الذي منه جميع المباركات تصدر، لم تبحثوا عن الراحة التي اعتاد بقية الأمراء على طلبها، بعد مثل هذا المجهود الذي بذلتموه، لابل بعد جهد حقيقي، وعمل لطيف، أنتم عوضاً عن ذلك تقومون بالتخطيط لتكريس طاقاتكم الرائعة من أجل استرداد الأرض المقدسة، وفي سبيل تحريرها من أيدي المسلمين، فعلى الرغم من تزايد السنوات، ومراغمة للميول الطبيعية لبني البشر، فإن رغبتكم هي بالحصول على المثلث الحقيقي للشجاعة، بالتصدي لجميع المخاطر التي تهدد بالموت الجسدي، لكن تقدم وعداً بحياة خالدة للنفس، ومع أنني أقل الناس تأهيلاً لتقديم النصيحة والمشورة، لقد تأصلت نصائحي في رحمة الرب المانحة

للحكمة، لأنه هو وفي نفسه جيد إلى درجة أن جميع الأشياء الخيرة هي جزء من طبيعته وجوهره، وكل شيء في العالم، بصرف النظر عن طبيعته، هو بدرجة ما جيد تبعاً لدرجة المشاركة في جوده الكلي، وهذا ليس رأى الكاثوليك وموقفهم لوحدهم، بل هو موقف كل من يستخدم قليلاً من المنطق الفلسفي، وإنني مدفوع برغبات طبيعية— التي تبعاً للفلسفة ينبغي ألا تكون عبثية— وبما أنني متعاطف كلياً مع مطامحكم، وبعون من فضل الرب، الرب الذي لاحدود لحكمته سوف أتابع الآن لأضع باختصار، أمام واحد مجرب جداً وحكيم بفن الحرب، وهو جلالتكم الملكية بعض المقترحات التي بدت لي ضرورية، وموائمة، ومناسبة من أجل استرداد الأرض المقدسة، والحفاظ عليها.

٢[2] وبديهي أن هذا المشروع لايمكن أن يتحقق من دون مساندة صديقكم الأب المقدس، الذي هو بفضل النعمة الربانية الحبر الأعظم للكنيسة الرومانية المقدسة والمسكونية، ومن الضروري أيضاً الحصول على موافقة مجمع عام لجميع الأمراء الكاثوليك والأساقفة، الذي ينبغي أن يتولى إزالة جميع العوائق، وأن يقدم كل مساعدة، وجميع الإعدادات الموائمة، لأن تلك البلاد، تبعاً لما صرح به الرب، أغنى من جميع البلدان الأخرى، ومسكونة بكثافة من قبل المسلمين الذين استولوا عليها، وهؤلاء يمارسون طريقة شهوانية للحياة، تمكنهم حسبما يريدون من انجاب وتربية كل ما يستطيعونه من أطفال، إلى حد أن كثيراً من الممالك والمقاطعات الواقعة في شرق وغرب وجنوب الأرض المقدسة لم تعد كافية لتلبية حاجاتهم، ولهذا تراهم يهاجرون من هذه البلاد وفق طرائق التتار، وإذا حدث الآن وتراجعوا لسبب ما، من خلال الخوف من واحد من الأمراء مثلكم شخصياً، يمكنهم بسرعة وبسهولة أن يتجمعوا على شكل حشد كبير من الناس من هذه الممالك المجاورة، ووقتها عندما يعلمون بأن قواتكم على وشك العودة إلى الوطن، تجد هؤلاء المسلمين،

وهم أشد وأحد من أي وقت كانوا، وهم في أعداد كبيرة جداً، سوف يعودون على الفور، أي في لحظة مغادرة قواتكم، يحثهم على ذلك الشياطين الذين يفضلون السكنى في تلك البلاد، ولسوف يقتلون من تبقى، ويجعلون على الفور من أنفسهم ملاكاً لتلك الأرض اللطيفة وسادة، وظهر هذا التفضيل من قبل الشياطين من خلال حقيقة، أنه عندما أراد الرب شفاء رجل في تلك البلاد، كان مسكوناً بروح شريرة، فقال لتلك الروح: «ما هو اسمك»؟ وأجابته الروح: «اسمي لجئون لأننا كثيرون»، وأضاف «لاتنفينا أيها المولى إلى أرض نائية، بل ابعث بنا إلى الخنازير لندخل فيها» حيث كان هناك منها قطيع كبير جداً، وهكذا هاجت الخنازير، واندفع «القطيع من على الجرف إلى البحر» [مرقس٥/ ٢—١٣] ولهذا لايمكن الاستيلاء على تلك البلاد، ولا الاحتفاظ بها لدى الاستيلاء عليها، إلاّبوساطة أعداد كبيرة جداً من الناس.

[3] وفي سبيل اقناع عدد كاف من الناس للارتحال إلى هناك، والبقاء في تلك الديار سيكون من الضروري ـجداً أن يعيش الأمراء المسيحيين بوئام، وأن يتجنب أحدهم الحرب مع الآخر، لأن الناس الذين ارتحلوا إذا ما سمعوا بأن أوطانهم قد هوجمت وتعرضت للإفساد، سوف يتخلون عن ميراث الرب للعودة من أجل الدفاع عن ممتلكاتهم، وقد وقع هذا ـمراراً في الماضي، ولهذا بات من الضروري إقامة السلام بين جميع المسيحيين، أو على الأقل بين الذين يطيعون الكنيسة الرومانية، ومن المتوجب أن يتأسس هذا السلام على قاعدة ثابتة، حتى يتمكن المسيحيون من إقامة اتحاد مندمج بقوة ولايمكن شطره، لأن«كل مدينة منقسمة على ذاتها تخرب»، (متى ١٢ / ٢٥)، وذلك حسبما قال الرب، وإذا ما انقسمت يتعين علينا — بسبب هذا الانقسام بالذات — أن ندعم الدفاعات عن الأرض المقدسة، حسبما سيظهر ذلك فيما يلي، ولقد

رأينا الألمان والإسبان، مع أنهم مشهورين كمحاربين، قد توقفوا — بسبب الحروب المتواصلة بين ملوكهم— منذ زمن عن القدوم لتقديم العون إلى الأرض المقدسة، كما أنهم لن يتمكنوا من فعل ذلك بالمستقبل، والحروب القائمة فيما بين الكاثوليك مؤسفة جداً، لأن عدداً كبيراً من الناس سوف يلاقون حتفهم في مثل هذه الحروب، وهؤلاء ستكون أوضاعهم في الحياة المقبلة غير مؤكدة.

ويطلب الذين غالباً ما لجأوا إلى الحرب، الشروع بحرب جديدة، لأنهم ينظرون إلى الحرب كمسألة عادة، أكثر من عدّها وسيلة من وسائل التحسين، ولا يسعون إلى السلام بعد الحروب، ولابوساطة الحروب، ولايضبطون أنفسهم ولايخافون من تجديد الحروب، وبذلك تراهم وقد أخفقوا بالأخذ بما قاله الفيلسوف أستاذ الملك الاسكندر:«جميع الحروب شريرة في نفسها، وهي غير شرعية، إلى حد أن الذي يطلب الحرب من أجل الحرب، يكون قد وصل إلى الحد الأقصى من الشرور»، وعلى كل حال عندما يكون من غير الممكن ضمان السلام، إلاّبوسيلة الحرب، ـفوقتها مسموح للرجال الصالحين طلب الحرب، لابل مسموح لهم التحريض على الحرب، من أجل أن يحصل الناس على الطمأنينة في سبيل تحصيل الفضائل والمعارف بعد انتهاء الحرب، وبعد إقامة سلام دائم، وإلا فإن جميع الحروب— باستثناء هذا الهدف وحده— هي غير شرعية وهذا ما يقول به أيضاً أساتذة القانون المدني.

ومع أن آباءهم وأجدادهم تورطوا في حروب غير شرعية، نرى أن الأبناء الأحياء، وأرامل الموتى، مهما كانت الوعود التي وعدوا بها، يبدأون فوراً بالاستعدادات لحرب انتقام، وقد وقعت هذه الأحداث بسبب أن صانع الخلافات بوسائل الإغواء لديه، والاقناع، والخداع اللامحدود، والغش، قد بذل جهوده لزيادة عدد المدانين الآثمين معه،

وليثبط جهود استرداد الأرض المقدسة وإعاقتها، ولهذا إنه غير راغب بالسماح للقوى الكاثوليكية بالاتحاد، بسبب ماقاله الفيلسوف: «كل قوة متحدة أقوى من القوة نفسها متفرقة أو ممزقة».

هذا وإن الملائكة الأشرار، حسبما شهدت بذلك الكتابات المقدسة، حكماء جداً إلى درجة ربما معرفة الحوادث المستقبلية، لأنهم استوعبوا المعارف ودرسوا النجوم منذ بداية الدنيا، وهم على دراية بأسباب جميع الأشياء، والنتائج الناجمة عن هذه الأسباب، وهم يتذكرون كل شيء، ولاينسون شيئاً، وهم يرون أن الأسباب الفاعلة الآن ربما تنتج بعض النتائج المحددة، وبما أنه كما قال سليمان: «ليس تحت الشمس جديد» [الجامعة: ١/ ١٠]، يمكنهم الحكم والتقدير ورؤية الأحداث المستقبلية، بالتذكر بأذهانهم النتائج التي نتجت في مناسبة مضت عن أسباب مشابهة، ويمكنهم القيام بهذا بدقة أعظم مما يستطيعه الشيوخ الذين تقدمت بهم السن، لأنه صحيح أن الشيوخ يمكن أن يكونوا رأوا وجربوا كثيراً، إن معارفهم وتجاربهم هي لاشيء عندما تقارن مع معرفة الأسباب والخبرة الطويلة المتوفرة لدى الأرواح الشريرة، التي تعرف كل الأسباب والمحصلات منذ بداية الخليقة، حتى خبرة شارلمان، الذي يقال بأنه حكم مدة مائة سنة وعشرين سنة هي لاشيء عندما تقارن بخبرتهم، وقال حول هذا الموضوع الفيلسوف في الكتاب الثالث من سفر «الموضوعات»: «ما من أحد يختار الشباب قادة» لاسيما في الحرب «لأنهم يعدّون بلا تجربة، وأعطى في الكتاب السادس من سفر «الأخلاق» سبب هذا عندما قال: «نحن نرى كثيراً من الشباب المتبحرين بمعارف ما جاء بالكتب، لكنهم يفتقرون إلى حسن المحاكمة والقرار الصحيح في القضايا التجريبية، لأن استخلاص معرفة ما حدث في هذا العالم، يمكن الحصول عليها فقط من خلال التجربة الفعلية».

ويحتاج الحصول على الخبرة إلى وقت طويل، ومعروف أن الشباب قد

عاشوا حقبة قصيرة من الوقت، ورأوا من الأشياء القليل، وحصلوا من الخبرة على الأقل، ولهذا السبب ما من واحد صاحب عقل صحيح يمكن أن يختارهم قادة في الحرب، وينبغي أن يكون قادة الحرب أهل السن من الرجال وأهل الخبرة، وأن يكونوا استراتيجيين وذوي رأي في الحرب، وبالنسبة للشباب، فإنهم ينبغي أن ينفذوا أعمال الشجاعة تحت قيادة وتوجيه الأسن منهم، ومع هذا إنه إذا ما توفر رجل حسن، يمكنه بسبب طول تجربته، وذاكرته الجيدة أن يكون أفضل قدرة من رجل شاب، لأن يحكم على المستقبل، ويتوقع ما سيكون به، لابد من أن نفترض بعقلانية أكبر، أن ملائكة الشرّ، يمكنهم الحديث عما سيكون في المستقبل بتأكيد أعظم مما يمكن أن يفعله أكثر الرجال شيخوخة وتقدماً بالسن، ومن الواضح في ضوء هذه الحقيقة، أنه يمكن لملائكة الشر أن يقوموا عن طريق الاقناع، والاغراء، وبشكل خاص عن طريق المشورة الشريرة، بإعاقة جهود حتى عقلاء الرجال، وذلك إلى الدرجة التي يكونون فيها ذوي فائدة للآخرين الماهرين في الفنون المحظورة، من الذين يستشيرونهم عندما يرغبون.

ومثل هؤلاء الأشخاص كثرة كثيرة بين المسلمين، لأن شرائعهم لاتمنع مثل هذه الممارسات، بل تؤيدها وتوافق عليها، ويدفع هؤلاء الملائكة الأشرار، مع التحركات في السموات وتأثير النجوم الناس بشدة لاقتراف الآثام، والرجس، والتخويف، والمحظورات، وأعمال أخرى يمكن أن ينجم عنها حظوظ خيرة أو شريرة، ولحسن الحظ أن هذه القوى لاتستطيع أن تكبح إرادة الانسان، ولا أن تعطل حكم العقل المنطقي، ويمكن من خلال ممارسة الإرادة لدى الانسان مقاومة الاغراءات، والميول الشريرة،بتثبيت التوجه والاهتمام نحو الخالق، ونحو قيم الخير لديه، والإغراء الأعظم، والقوة الأكثر دفعاً نحو التحرك والمتملكة للتأثير هي قوة السموات، والرب في السموات يحتفظ بأعظم

الجوائز لمن يقاوم حباً بالشرف والاستقامة، وهو يمنح المزيد من الفضائل من أجل هذه المقاومة، وقد شهد الفيلسوف— أرسطو— لصالح هذا التوجه في الكتاب الأول من كتاب «القيم» بقوله:«قال هرقل مصيباً بأن الفضيلة تتقد دوماً في وجه المصاعب الكبرى، ونحن لانستحق لا المدح، ولا النقد، ولا المكافأة من أجل مواهبنا الطبيعية».

٣[4] ومن أجل استرداد الأرض المقدسة والدفاع عنها ضد مثل هذه الاعداد الهائلة، الذين اتخذوا الشياطين مستشارين لهم، يصفقون لهم استحسانا ويشاركونهم، سوف تكون الصلوات المخلصة جداً للكنيسة المسكونية، ولسوف تتم معالجة هذه القضية فيما بعد، ويتوقف الصالح العام للمؤمنين المسيحيين الذين يدينون بالولاء للكنيسة الرومانية على اتحادهم معاً بروابط للسلام، وبالاتحاد، وهكذا يتوجب على جميع الكاثوليك الامتناع عن إثارة الحرب، أحدهم ضد الآخر، وإذا ما لجأ بعدها أي انسان إلى الحرب، متحدياً هذه الوحدة، فإن ذلك العمل بالذات سوف يوجه نحو استرداد الأرض المقدسة والدفاع عنها، ومن الممكن عرض هذا وتنفيذه وفق الطريقة التالية.

عندما يعطي الحماس من أجل تحرير الأرض المقدسة ثماره في عقد مجمع كنسي، يمكن وقتها لجلالته الملكية الواسعة الخبرة الطلب من خلال السيد البابا، أن يتبنى الأمراء والأساقفة [المجتمعين هنا] نظام ما، يمكن بموجبه تأمين عدالة تامة، وفقاً للشرائع المحلية والعادات، ومنحها على الفور دونما تأخير إلى جميع من ادعى لحاق ضرر به أو أذى، ومن المتوجب ممارسة أعمال العدالة من قبل قضاة محليين قد جرى تعيينهم، أما في الأماكن التي لم يتم تعيينهم بعد، فيتوجب اختيارهم وفقاً للطريقة التي سيجري شرحها فيما بعد، فينبغي أن لايندفع كاثوليكي إلى حمل السلاح ضد كاثوليكي آخر، ولايجوز لأحد أن يسفك دماً معمداً، وإذا مارغب أي انسان في شن حرب، ليكن غيوراً

متحمساً في شن الحرب ضد أعداء الإيمان الكاثوليكي، وضد أعداء الأرض المقدسة، وجميع الأماكن التي قدسها الرب، ولابد من عدم تمكينه من امتلاك الفرصة بتسبيب الموت الجسدي أو الروحي لأخوانه بالإيمان بإثارة الحرب ضدهم.

٤— وكل جماعة تقوم مراغمة لهذا التنظيم الشامل فتغامر بشن حرب ضد أخوانها الكاثوليك، سوف يطبق بحقها عقوبة حرمانها من ممتلكاتها، وينبغي إنزال هذه العقوبة بجميع الذين قدموا العون لها، سواء أكان هذا العون بالقتال الفعلي، أو بإمدادها بالعتاد والمؤن، والسلاح أو الذخائر الأخرى أو بضروريات الحياة، وعندما تنتهي الحرب، من المتوجب نفي جميع الذين بقيوا أحياء بصرف النظر عن السن، والجنس، أو الوضع، وينبغي أن يكون النفي دائميا من البلاد ومن الممتلكات، كما ينبغي تجريدهم من ممتلكاتهم هم وأولادهم والذين يمكن أن ينحدروا منهم، ويجري ارسالهم للسكنى في الأرض المقدسة، وفيما يتعلق بالممتلكات التي انتزعت منهم، ومنها حرموا، إنهم إذا ما قاموا عن طواعية بتنفيذ أمر المغادرة إلى الأرض المقدسة، يمكنهم الاعتماد على هذه الأملاك لتأمين النفقات الضرورية للرحلة.

وعلى السيد البابا معاقبة الذين يشنون الحرب مع الذين نعلم أنهم قدموا بأية طريقة من الطرق العون أو الدعم لمثيري الحروب، أو تعاملوا بتزويدهم بأية نوع من التجهيزات أو المؤن، أو الماء أو النار، أو أي نوع من أنواع ضروريات الحياة، ويتوجب عليه عدم حرمانهم كنسياً، أو تجريمهم لاهوتيا، بل ينبغي تجنب تعريض خلاص أرواحهم إلى المخاطر، خشية أن يزداد ـعدد المدانين، وسوف يكون أفضل بكثير إنزال عقوبة مؤقتة بهم من العقوبة الدائمة، والعقوبة المؤقتة، مع أنها ألطف بكثير من العقوبة الدائمة، سوف تكون مخشية أكثر، وسوف تكون أكثر نفعاً إلى الأرض المقدسة، وسوف تكون أقل ضرراً بالنسبة

لأقرباء المجرم وذوي الارتباط به.

٥[5]: ويتعلق السؤال الآخر الذي يواجهنا هو: هل يمكن بسهولة إخضاع مثيري الحروب وهل سيكون من المفيد نفيهم إلى الأرض المقدسة؟، ودعونا نفترض أن دوق— أوكونت— بيرغندي شن حرباً على ملك فرنسا، الذي هو مولاه، فإن الملك، الذي لايعترف بسيد له على وجه الأرض، سوف يتخذ على الفور خطوات لمنع أي انسان من جلب أي شيء إلى أراضيهما من المؤن، والسلاح والتجارات، أو أي حاجيات أخرى، حتى ولو كانت مستحقة لهما لسبب من الأسباب، وبموافقة المجلس، الذي سوف يتألف من أمراء ورجال لاهوت، سوف يجري تطبيق هذا الحرمان ليشمل جميع الكاثوليك، تحت التهديد بالعقوبة المماثلة، ولسوف يطلب الملك مصادرة جميع أراضي المجرمين وممتلكاتهم وذلك من أجل استخداماته الخاصة، ولهذا عليه القدوم عندما يكون الموسم جاهزاً للحصاد، أو أبكر، وأن تكون معه قوة عظيمة من أتباعه ومن المناطق المجاورة، حتى يمكنهم حمل المحصول كله، وكل مالايمكن حمله أو استخدامه المباشر في المناطق المجاورة ينبغي تدميره، وكل ما يمكن حمله وحفظه ينبغي تكريسه من أجل إمداد الحصون العائدة للجيران المخلصين للملك والذين عانوا من خسائر في الحرب، وبهذا سوف يكونوا قادرين في المستقبل على الحفاظ على أنفسهم، وهم بحالة الاستنفار للحيلولة دون فرار صانعي الحرب، وخشية قيامهم بتدمير المناطق المجاورة، ومن المتوجب تجنب حصار الحصون التي هي بالعادة محمية، وذات وضع دفاعي جيد، في بلاد العدو، وإذا ما تحصن المجرمون في داخل قلاعهم، الأمر المحتمل كثيراً، ولم يغامروا بالتورط في معركة مكشوفة، فمن الممكن العيث بجميع أريافهم من قبل الجيش وحشود الناس الذين معه من غير المقاتلين، ويمكن للجيش كله مع أتباعه العيش من الأسلاب، وكل ما لايمكنهم

حمله ينبغي تدميره، وبذلك لن يبقى شيئاً لدعم الحياة، وإذا لم يقم المجرمون بمقاومة فعالة، بل تحصنوا داخل قلاعهم، خلف أسوارها في الجبال أو في المستنقعات، على الانسان عدم طلب إماتتهم خشية أن تذهب أرواحهم، وتنزل إلى الجحيم لتبقى إلى الأبد، ولسوف يبرهن التجويع أنه عقوبة أعظم فعالية، لأنه سوف يؤثر ليس بالمعتدين فقط، بل بكل انسان من العظيم إلى الصغير، وكل واحد سوف يشعر بالعقوبة، فهكذا أمر الرب وقضى من خلال النبي بإنزال العقوبة بالملك أجاج وجميع رعيته من أول رجل فيهم إلى آخر رجل، كما أن الملك شاول الذي رقي بأمر من الرب ودهن ليحكم على بني اسرائيل، قد حرم من مملكته، لأنه بعدما منحه الرب النصر، احتفظ بحيوانات الملك أجاج الضخمة والسمينة من أجل القيام بتضحيتهم للرب، وجرى استدعاء داود، الذي كان يتولى حفظ أغنام أبيه، ودهن ليكون ملكاً عوضاً عنه، وبهذه الصورة تمت عقوبة الملك شاول لعدم طاعته، وجرى إخباره من قبل النبي الذي حمل العقوبة إليه: «لأن الطاعة أفضل من الأضحية» (الملوك ١/ ١٥/ ٢٢. صموئيل ١/ ١٥/ ٢٢).

٦: وعاقب بالطريقة نفسها الرب القدير أبناء إسرائيل، لإقترافهم الذنب العظيم بخيانتهم ربنا يسوع المسيح، وقتله، فأنزل بهم مجاعة كانت من القسوة بمكان أنها دفعت بالأمهات لشوي أولادهم الصغار وأكلهم، فهذا ما حكاه يوسفيوس في كتابه عن التاريخ القديم، حيث تحدث عن دمار القدس.

٧: وينبغي إعطاء غفران كامل من قبل المجلس الكنسي إلى جميع الذين ساعدوا على تنفيذ مشروع عقوبة مثيري الحروب ونفيهم إلى الأرض المقدسة، وينبغي تأكيد هذا الغفران من قبل الذين سوف يتعاقبون على شغل منصب الحبر الأعظم للكاثوليك، وينبغي أن يتولى دوما الذين أرسلوا إلى الأرض المقدسة، عن طريق العقوبة، قيادة

الحملات على الاراضي المعادية، وبذلك يمكن أن يخدموا بمثابة سور للدفاع بالنسبة للآخرين، بما أنهم رحبوا متطوعين بإثارة الحرب وشنها بناء على إثارة من الشيطان، ويتوجب إجبارهم ـمرغمين على القتال في المقدمة من أجل قتال عباد الاوثان، وأعداء السلام، والوقوف ضد الذين أنفسهم حرضوهم من قبل على الحرب.

٨: ومن الممكن كثيراً أن التهديد بعقوبة التجويع والنفي الدائم، سوف تكون بنعمة الرب مخيفة جداً، إلى حد يجعل التماسات زوجات أمراء الحرب وأولادهم الصغار، وآبائهم المسنين وأجدادهم، وكذلك رهبانهم، وأساقفتهم، ورجال الدين الآخرين، تنجح بالسيطرة على أمراء الحرب هؤلاء العنيدين والمتهورين، وتؤثر على الحماس الضال لشبابهم، وفي ظل التهديد بمثل هذه العقوبة ما من أحد سوف يغامر بشن الأعمال العدوانية.

٩[6]: وإذا ما صار الكاثوليك بحالة سلام بين بعضهم بعضاً، فإن المقاتلين سوف يتدفقون من كل اتجاه نحو الأرض المقدسة، مع كل الاحتمالات بتمكنهم من استردادها والدفاع عنها.

١٠— ومضت جمهوريات: جنوى، والبندقية، وبيزا، من دون عقوبة من أجل خصوماتهم التي لم تتوقف، وحروبهم البحرية، التي غالبا ما أعاقت في الماضي استرداد الأرض المقدسة والحفاظ عليها، ولسوف تحافظ هذه الجمهوريات، ومثلها ستفعل كومونتا لومبارديا، وتوسكانيا، والمقاطعات الأخرى، على سلام دائم، كل قوة مع القوة الأخرى، إذا ما تقرر إمكانية قيام أي واحد من جيرانهم بتقديم شكوى ـضدهم على هذه الشاكلة.

١١— وإذا ما رغب الحكام في إيقاف النزاعات بين هذه المدن، وإنزال العقوبة بهم، يمكن لأي واحد من هؤلاء الحكام أن يستولى على

بضائعهم وأموالهم الموجودة في مملكته والاحتفاظ بها لنفسه،وإذا ما أخفق إثرها بشن الحرب عليهم فوراً، ينبغي استخدام أملاكهم المصادرة وكل ما يمكن العثور عليه من بضائعهم، على الفور من أجل تمويل، أو ميزانية تتعلق بالأرض المقدسة.

وينبغي على الكرسي الرسولي والأمراء الذين تفجرت في أراضيهم مثل هذه الحروب، ارغام الذين لديهم بضائع وأموال عائدة لمجرمين، على التجاوب مع هذه الاجراءات والأخذ بها، في ظل التهديد بعقوبة مصادرة ممتلكاتهم، وتحويلها إلى التمويل أو الميزانية نفسها، وإذا ما تبرهن أن هؤلاء الأمراء كانوا مهملين في تنفيذ واجباتهم، بعدما جرى إبلاغهم من قبل المتولين لإدارة التمويل المذكور، يتوجب أن يتعرضوا لحرمان مماثل، ولمصادرة جميع ممتلكاتهم، التي سوف يتم تحويلها إلى التمويل نفسه.

١٢[7]: لكن ماذا عن هذه المدن وعدد كبير من الأمراء الذين لايعترفون بوجود سلطة عليا على الارض فوقهم، تمتلك السلطة لتحكمهم تبعاً للشرائع المحلية والعادات؟ وعندما ينخرط هؤلاء الأمراء وهذه المدن في الخلافات والصراعات، إلى من سوف يقدمون شكاويهم ويلتمسون الإجراءات القضائية؟ ويمكن للانسان أن يجيب بأن المجمع ينبغي أن يقرر اختيار محكمين: رجال دين أو آخرين، يكونوا رجالاً حكماء ومجربين، وأهلاً للثقة، وبعدما يقسم هؤلاء الأيمان يتولون اختيار ثلاثة من الأساقفة للعمل بمثابة قضاة، وثلاثة آخرين لكل جانب من أجل المناقشات، وينبغي أن يكونوا رجالاً أقوياء متماسكين، لهم أخلاق مستبعد إفسادها بالحب، أو بالكراهية، أو بالخوف، أو بالجشع، أو بأي وسيلة أخرى، ويتوجب اجتماعهم في مكان مناسب لهذا الغرض، وأن يؤخذ عليهم العهد بأيمان محددة صارمة، وينبغي أن تقدم إليهم مختلف مطالب الشاكي والدفاع بشكل

مختصر وبسيط، وأن يتم ذلك قبل اجتماعهم، وبعد رفضهم أولاً لما ليس له علاقة بالقضية ومقحم فيها، عليهم تلقي الشهادات والوثائق والبينات، وتفحصها بدقة متناهية وبوعي كامل، وينبغي فحص أي شاهد والاستماع إليه بحضور مالايقل عن اثنين من الرجال العلماء الذين هم موضع ثقة عن طريق القسم حسبما بينا من قبل، ويتوجب عرض الشكاوى كتابة، وعلى القضاة الاحتراز وفحصها وصيانتها من التزييف، ومنع أي غش من الدخول إليها أو تزوير.

وينبغي أن تكون نفقات اجتماع القضاة معتدلة، ويتوجب أن يؤخذ بالحسبان أن لاتتجاوز هذه النفقات القضائية أكثر مما قد ينفقه القضاة لو أنهم مكثوا في البيت، وإذا ما كان مرغوباً يمكنهم الاستعانة بمقومين في إعلان الحكم، على أن يكونوا رجالاً معروف أنهم ثقة إلى أبعد الحدود، مع معرفة جيدة باللاهوت، وبالقانون، وبالشريعة المدنية.

وإذا كان واحداً من الطرفين غير قانع بالحكم، يتوجب على القضاة الذين بتوا في تلك القضية، إرسال سجل بالاجراءات إلى الكرسي الرسولي، مع قراراتهم، لتعديلها وتغييرها من قبل البابا الذي هو بالسلطة، إذا ما كانت تلك التعديلات عادلة، وإذا كانت الأحكام كما هي عادلة، ولم يحدث أي تغيير، سوف يتم تثبيت الحكم بشكل لائق من أجل السجل الدائم للقضية، ومن ثم تدخل إلى سجلات الكنيسة الرومانية المقدسة.

١٣[8]: ويوفر تغيير الحكام بالامبراطورية، بالعادة، فرصاً لاتحصى من أجل الصراع في ألمانيا من خلال أعمال التدخل في إجراءات انتخاب الامبراطور، وبسبب الفوضى التي رافقت هذه الحالة في الماضي، غالباً ما أعاقت استرداد الأرض المقدسة والحفاظ عليها؛ ولعل توفر سلام دائم في الامبراطورية الرومانية المقدسة سوف يسهم كثيراً في بلورة هذا الهدف، وذلك إذا ما أخذنا بعين التقدير الأعمال الجيدة التي أتيح

للملوك الألمان القيام بها، والتي من الممكن لهم انقيام بها أثناء حياة الناس الأحياء، لو أنهم ورثوا المملكة والمجد الامبراطوري بدون صراع، بما في ذلك قوة جبارة، وخزائن مليئة مخبئة لهم ومخزونة من قبل آبائهم، ووقتها لن يكون هناك شغور بالعرش، ولا انقطاع بالحكم أو توقف، وإذا ما أخذنا أيضاً بعين التقدير الأعمال الجيدة التي قام بها الأباطرة، كما قيل في الأيام الخوالي، قبل ظهور هذه المعيقات الحديثة، وذلك من أجل إيقاف الحروب المؤذية للجسد وللروح، وهي حروب قامت من خلال الطموح للحصول على الملك وعلى المجد الامبراطوري، هذا وإنه بتجنب الخسائر الثقيلة المعتادة، يمكن أن يأتي من المملكة ومن الامبراطورية عون كبير جداً من أجل استرداد الأرض المقدسة والحفاظ عليها، ومن أجل كثير من المنافع الدنيوية الكثيرة، التي كان من الممكن لنا الحصول عليها منذ زمن بعيد، من تلك البلاد، فضلاً عن هذا كله، ينبغي عدم زوال ازدهار وتقدم الصالح العام لتلك المملكة، ولإمبراطورية ذلك الشعب النبيل، وينبغي اتخاذ خطوات لمنح مملكة ألمانيا وامبراطوريتها بشكل دائم إلى ملك جديد، وللازدهار الذي سوف يرافقه، فهو قد يقدم بعض التنازلات الطفيفة حول مسألة الممتلكات والامتيازات والإعفاءات العائدة للامبراطورية من أجل تجنب الخلافات، ولإسكات الناخبين واشباع رغباتهم، زد على هذا يتوجب على الملك الجديد، الذي سوف يكون الامبراطور أن يشترط على نفسه، وأن يعد بتقديم دعم سنوي من أجل مصالح الأرض المقدسة ومنافعها، مادامت هي بحاجة إلى ذلك، وينبغي أن يأخذ هذا الدعم شكل قوة عسكرية كبيرة، يتوجب أن تكون على حسابه الخاص، وأن ترسل إلى الموانىء البحرية مسلحة تماما ومجهزة، مع أغطية مناسبة لمثل هذه الحملة، وموائمة لإقامتها في الأرض المقدسة.

١٤[9] : وأن يقوم الامبراطور والأمراء الآخرين بتأمين الأعتده

والسفن من أجل ارسال عساكرهم عبر البحر، سيكون ذلك مكلفاً جداً، وبناء عليه إنه من الأفضل تأمين ذلك إلى المحاربين بشكل إفرادي، متى جاءوا، ويبدو أن هذا الهدف من الممكن الوصول إليه بسهولة وفق الطريقة التالية، وهي طريقة عرضة للتغيير والتصحيح من قبل السلطات المسؤولة:

يمتلك الداوية والاسبتارية والتنظيمات الأخرى التي تأسست من أجل مساعدة الأرض المقدسة، موارد كثيرة، وبضائع، وممتلكات على هذا الطرف من البحر المتوسط، الذي كان ذا فائدة قليلة حتى الآن للأرض المقدسة.

وكانت هذه التنظيمات في أوقات الحاجة القصوى منقسمة بين بعضها بعضاً، ولهذا كانت معاقة ومعطلة وبيوتها عرضة للسخرية، ومن ثم إلى فضائح شنيعة، ومن هنا إذا كان في وجود هذه التنظيمات أية فوائد للأرض المقدسة، إنه لمن المرغوب فيه، ومما يُنصح به، دمجها في منظمة واحدة، بالنسبة للمظهر، والملبس، والرتب، والممتلكات، وذلك حسبما يراه المجمع المقدس مناسباً، وعليهم أيضاً البقاء في الأرض المقدسة، يعيشون على واردات ممتلكاتهم هناك وفي قبرص، إلى أن يتمكنوا من استرداد استملاك ممتلكاتهم بسلام، وممتلكات من هذا النوع تكون كافية لإحتياجاتهم، مع مؤن يمكن تزويدهم بها من مصدر ما آخر.

١٥: وينبغي أولاً أن توضع ممتلكاتهم الموجودة في كل مكان على هذا الجانب من البحر المتوسط، تحت الوصاية هي ومواردها، وذلك لمدة ثلاث سنوات أو أربع ، وأخيراً ، أو على الفور، ينبغي تحويل هذا إلى وقف، إذا أمكن الوصول إلى ترتيبات شروط مرضية، ويمكن بهذه الوسيلة تحصيل مالايقل عن ثمانمائة ألف ليرة تورية سنوياً من الداوية والاسبتارية.

وينبغي احصاء الأموال التي جرى جمعها منذ سقوط عكا، واضافتها إلى الأموال الأخرى، ومن الممكن استخدام هذه الأموال لشراء سفن، ومؤن وبقية الحاجيات الضرورية الأخرى إلى المحاربين الذين سيقومون بعبور البحر، ويمكن بهذه الطريقة ضمان عبور حر ومريح في المستقبل، وسيكون ذلك متوفراً لجميع الذين يرغبون بالعبور، حتى بالنسبة إلى أفقر الناس، ويمكن للسفن أن تجلب معها من الأرض المقدسة مايلزم من منتجاتها وماهو مطلوب هنا، وحمل منتجاتنا إلى هناك، ذلك أنه سيكون من السهل آنذاك شحن البضائع من بلد إلى بلد آخر، وحين نأخذ هذه الأمر بعين التقدير، سوف يندفع المسيحيون الذين يعيشون على هذا الطرف من البحر، أو في مكان آخر، بشكل طبيعي للتفكير للدفاع عن الأرض المقدسة، ولحماية سلامتها، ومن الممكن أن يحمل بهذه السفن من المناطق الخصبة في الجزر وعلى سواحل البحر المتوسط كثيراً من المؤن والحاجيات الأخرى، وبذلك لن يعاني من النقص بالمؤن أحد من المحاربين أو من الذين تمركزوا في كل مكان قرب البحر، وينبغي إلقاء أعضاء التنظيمات المتقدمة الذكر، الذين شعروا حتى الآن أنه من غير الموائم لهم عبور البحر والعيش هناك، في ديرة طائفة السسترشيان وفي ديرة الطوائف الأخرى المزدهرة، لقضاء العقوبة على تجاوزاتهم، وعليهم أن يعيشوا هناك مع الرهبان، ولسوف تتلقى هذه الطوائف قليلاً من المساعدات، من أجل الانفاق على هؤلاء الداوية وسواهم، ويستمر ذلك حتى يأتي الوقت الذي يمكن تحريرهم فيه من هذا العبء، أي عبء دعم أعضاء هذه التنظيمات العسكرية والانفاق عليهم.

ولسوف يكون الدخل السنوي من هذا المصدر كبيراً، وبوساطة ضخامته سوف يكون سوء المعتقد لدى الداوية والاسبتارية واضحاً، وسوف يغدو مرئياً كيف أنهم قاموا حتى الآن، من أجل هذا الدخل،

بخيانة الأرض المقدسة، وأخفقوا بالقيام بواجبهم نحوها، وعندما تصبح الأمور موائمة وواضحة فإن هذا الدخل السنوي سوف يتضاعف بشكل فعال بوساطة تبرعات المؤمنين، والممتلكات المصادرة العائدة إلى الذين أثاروا الحروب العدوانية، ومن مصادر أخرى كثيرة، ولسوف يجري توضيح هذا أكثر فيما يلي:

١٦[10]: لقد كانت الأرض المقدسة حتى الآن سيئة التزويد بالمؤن بسبب الصراع الكبير بين الشعوب، ولهذا فإن الأب المقدس، الذي قيل بأن هذه القضية هي شغله الشاغل، سوف يقوم بحث كل نائب له أن يرسل إلى هناك أكبر عدد من المقاتلين، وذلك بقدر ما تسمح له موارده، وسوف يجري تصنيف هؤلاء بوساطة زي موحد متميز بالنسبة للفرسان وكذلك بالنسبة للرجّالة، وأن يجري تزويد كل فئة برنك واحد مع الراية العائدة إلى الحاكم الذي أرسلهم، وسوف يتولى السيد البابا الاشراف على تنفيذ هذا الأمر، وأن يلتزم بتنفيذه الأمراء العلمانيين، وأن يتولوا القيادة شخصياً إذا كان يمكنهم هذا بدون صعوبة، وإلاّ على كل منهم تعيين شخص مناسب يتولى قيادة القوات عوضاً عنهم، وأن يكون مجهزاً برنوك الإمارة وشعاراتها وأعلامها، وبهذه الوسيلة سوف تتمكن جميع الشعوب المحلية لمملكة أي أمير من الأمراء، بصرف النظر عن وضع الذين أرسلوهم إلى هناك، من تشكيل جيش واحد، وإذا لم تكن أعدادهم كافية لذلك، يتوجب أن يضاف إليهم أناس من الأقرب إليهم، الذين يفهمون لغتهم، وتكون الزيادة بأعداد كافية لتشكيل جيش، وينبغي تشجيع الرجال من كل مرتبة، لابل حتى النساء من الأرامل وكذلك ا لمتزوجات على إرسال رجال مجهزين بما فيه الكفاية يرتدون الزي نفسه مع الشعارات والرنوك ذاتها، وعلى الوكلاء أن يبعثوا بفرقهم النظامية للموسيقى العسكرية، للقيام بالمرور بالمدن، وبالبلدات والطواف مع أصوات الأبواق، وأصوات بقية الآلات

- ٣٢٦٠ -

الموسيقية والأغاني، وأن تكون معهم الرايات البراقة، فذلك سوف يحرك مشاعر الناس ويشجعهم جميعاً، ويؤثر عليهم بقوة من أجل عبور البحر، أو ارسال آخرين بتجهيزات موائمة، وسوف يزيد هذا التجييش أعداد االمحاربين إلى ما فوق حدود التصور.

١٧: وينبغي اقناع الأمراء والأعيان الآخرين الذين يشاركون بالحملة بأن يتعهدوا، أنهم إذا ماتركوا جيوشهم بسبب الموت أو المرض، أو العودة إلى الوطن، أو مهما كان المحرض والسبب، أن يتركوا هناك عدداً محدداً من العساكر مع أسلحتهم ورنوكهم وراياتهم، ومع نفقة حتى تمكنهم من العيش بشكل مناسب، ولسوف تتلقى هذه النفقة زيادات حتى تصبح كافية، وذلك من مصادر التمويل العائدة للأرض المقدسة.

١٨: وينبغي اقناع أي شخص متمكن وقوي من كلا الجنسين، أن يعد بالقيام، بعد ضمان سلامة الطريق، بارسال— على الأقل— نفقات العدد الذي يمكنه من العساكر، وذلك في السنوات التالية، مع أموال لمساعدتهم أكثر، ويتوجب نقل هؤلاء العساكر مع زوجاتهم، عبر البحر حتى يقوموا بسكنى الأرض المقدسة، وأن يشحنوها بالناس على قدر الحاجة للاستيلاء على تلك البلاد والاحتفاظ بها.

١٩: زيادة على هذا ينبغي أن يبقى فرسان ذوي تجربة، وحكماء، ونشطاء، بحيث يحملون رنوك بعض الأمراء الكاثوليك، وأن يكون معهم حملة للرايات.

٢٠: وينبغي أن يسمح لكل مملكة كاثوليكية، لابل بالحقيقة لكل منطقة واسعة أيضاً، باحتلال إحدى المدن، أو القلاع، أو المواقع الهامة هناك، مع بعض المناطق المتاخمة، وأن يكون حجم المنطقة المحتلة متماشياً مغ عدد الأتباع الذين شاركوا في الحملة، وبذلك يتمكن القادمون الجدد، بعدما انهكتهم مصاعب الطرقات، ومختلف أنواع أماكن النوم،

obeikandi.com

والنقص في أشياء أخرى، يتمكنون وقتها من نيل البهجة والسرور في أماكن وأجواء معتادين عليها، وذلك بعد حزنهم، ومتاعبهم، وأساهم،ومن الواجب تغيير أسماء تلك الاماكن، واختيار أسماء جديدة لها بموافقة الأكثرية تحمل ذكرى، أو الاشارة إلى المملكة أو المدينة الرئيسية، التي جاء منها السكان الجدد، وسيمنح هذا كثيراً من الطمأنينة إلى المتأخرين بالوصول، بعد معاناتهم من التعب والشدائد، وسيتمكن الضعفاء من الواصلين، وسط هذه الراحة وهذا السرور، من استرداد عافيتهم بسرعة أكبر، أما الأقوياء الذين ألم بهم الضعف الطارىء فسوف يستردون نشاطهم بسرعة أكبر، وسوف يستعيدون قواهم الطبيعية وحماستهم، وعندما يعودون من القتال مرضى أو جرحى، سوف يشفون بسرعة بمساعدة الأطباء والجرائحيين، الذين يتولون العناية بهم بحرص وتيقظ، وبفضل الراحة والمنافع والأسباب الأخرى التي تقدم لهم، ولاسيما إذا ما كانوا بين أبناء بلدهم، فوقتها سيتعافون بسرعة أكبر، بسبب الآمال التي يقدمها لهم أبناء بلدهم مع الراحة والعناية، ولسوف يعودون إلى القتال وهم أقوى، وأكثر شجاعة، وبدون خوف بفضل الراحة التي نالوها.

٢١[11] : وفي سبيل تجنب أي خرق للنظام الجيد، أو للحقوق المتبادلة، فيما يتعلق بالتخطيط للحملات، وفي تعيين الأماكن للاستقرار في الأرض المقدسة، ينبغي أن يتقرر، أن الذين نفيوا بسبب إثارة الحروب، أو بعثوا إلى هناك عقوبة لهم للقيام بأعمال مشابهة، مشاركتهم في الحملة الأولى، أو الحملات، وسوف تكون أماكن استقرارهم بالحري ـقريبة من الأـعداء، وفيما يختص بالذين ـجاءوا من بعدهم، فليعين إلى هؤلاء الحدود الجبهوية نفسها.

٢٢: وخشية من قيام خلافات ونزاعات بين الأمم حول مسائل اختيار المدن الكبيرة، مثل القدس وعكا ومن ثم احتلالها، يبدومن

الموائم، ومن المنطقي، أن يسمح لأناس من مختلف البلدان بالدخول إليهما، لابل أن يسكنوا فيهما إذا مارغبوا بذلك، وستكون الترتيبات نفسها معقولة في حالة المواقع الهامة الأخرى على شاطىء البحر، أو القريبة من البحر، حيث تكون قد تجمعت هناك مختلف التجارات من مختلف البلدان.

٢٣: وينبغي أن يكون لكل مدينة مع المنطقة المعينة لها، قائداً عسكرياً مع قادة مئات أدنى منه، وتحت إمرته، ويتوجب تقسيم كل مائة رجل أوكلت قيادتها إلى كل قائد مائة إلى ثمانية حضائر، يكون في كل حضيرة بالعادة اثني عشر رجلاً، وفقط قائد المائة سوف يكون معه في حضيرته خمسة عشر رجلاً، وبهذه الطريقة سيعرفون دوماً إذا ما كانوا يمتلكون قواهم الكاملة، وعلى كل واحد أن يحرس الآخر بعناية، ويدافع كل واحد عن الآخر حتى الموت.

٢٤: وينبغي بعد هذا أن يتقرر كم عدد المقاتلين الذي يمكن أن تقدمه كل مدينة للجيش، وعلى قائد كل مائة أن يتفقد الرجال الذين تحت إمرته، ويتأكد أنهم قد تدربوا على استخدام السلاح، الذي يتوجب عليهم استخدامه وفقاً للتوجيهات الصادرة عن القائد الحربي لمدينتهم.

٢٥: وقد روي بأن التتار الذين يشنون الحرب وفقاً للطرائق والعادات التي كانت في أيام الاسكندر، (تبعا لسيرة الاسكندر، اعتاد القادة الفرس في تلك الآونة على مركزة كل أسرة من الأسر تحت السلاح) لايستخدمون المال، ولايشترون المؤن، وإنما يأكلون من الأسلاب التي يحصلون عليها من الأعداء، وعلى الميرة والأطعمة التي جمعوها من قبل، وعلى ما ينتجه الأعداء، وهم لم يتولوا قط إلقاء الحصار على موقع حصين، وفي احدى المرات تجمعوا خلال خمسة أيام أو ستة واحتشدوا من كل اتجاه في الساعات الأولى من النهار، للقيام بهجوم بمختلف الطرق وفقاً لأساليبهم، وظلوا كذلك حتى المساء،

فـوقتهـا عـادوا إلى أكـواخهم وإلى أزواجهم، وأولادهم، وإلى ذويهم، وليس مـن المفيـد الإصرار على مثل هذه الطـرائق، حيث ينبغـي تنوع التكتيكات وفقـاً للزمان والمكـان، والعدو، وعسـاكـرنا وبقية الحقـائق، وذلك حسبما مارس قادة الحرب لدينا ويمكن أن يقرروا.

٢٦ [12]: وفي العادة يعتري التعب العساكـرمع مطاياهم، وهذا أمر طبيعي بالنسبة للرحلات البحرية، وذلك لـعدم توفر مراكب قادرة على نقل أعداد كبيرة ـجداً من الناس في وقت واحد، كما ولاـيوجد ميناء في أي مكان من الممكـن أن يصعـدوا منه على عـدد مـن السفن في وقت واحـد، كما لايمكنهم النزول من السفن إلى الميناء في وقت واحد أيضـاً، ومن الممكن في ظل هذه الظـروف، أن يكون من السهل تمزيق الأعـداد القليلة التـي وصلت في وقت واحـد من قبل العـدو الشرس، الذي تسـاعده مـلائكة الشر التي تعـادي هذه الحملة التي تسعي إلى الحد من قواهم، وفي سبيل تجنب مثل هذه المأساة، يبدو أنه من المفيد اتباع طريقة ذلك المقـاتل الجبـار، وأعني به شـارلمان، بجعل الجزء الأكبر من الجيش يأخذ الطريق براً، وذلك بعد الحصول على الأذن من باليولوغوس Pa-laeolagus] امبراطور بيـزنطة— أندرنيكـوس الثـاني ١٢٨٢— ١٣٢٨] ومن الأمـراء الآخرين الذين سـوف يزحف الجيش من خـلال أراضيهم، وينبغي أن يطلب من ـهؤلاء الأـمراء إعطاء ـمدخل آمن إلى بلادهم، وممر فيها ومخرج منها، وكذلـك السماح للمسافرين الأفراد، مع تمكينهم من الحصـول على ضمان تأمين الميرة والمأوى بالسعـر العـادي المتـداول، الـذي يدفعـه السكان المحليـون، كما يتـوجـب على الأمـراء المحليين السماح بدون مقابل، مع تسريع أعمال، نقل المؤن من كل اتجاه، إلى الطرق المختارة من أجل العبـور، وذلك بوساطة تعليق بعض، لابل كل، الضرائب، ومع أن هـذا الطريق طويل أكثـر، فـإن عـدداً كبيراً من الناس سيقع اختيـارهم عليـه ممن لايتجـرأون على السير على الطرق

الأخرى، أو هم غير قادرين على فعل ذلك.

ولسوف يكون من المفضل كثيراً توجيه الضربات إلى العدو من كثير من النقاط بدلاً من نقطة واحدة، ويمكن للألمان، وللهنغار، وللاغريق، ولكل الذين يعيشون إلى الشمال منهم، السير على هذا الطريق نفسه المذكور أعلاه، ولقد قرأت في «تاريخ القدس» بأن الامبراطور فردريك بربروسا قد سار على هذا الطريق، وهو الذي غرق في واحد من أنهار أرمينيا، بينما كان يستحم بسبب الحر، وقد حدث هذا في أيام صلاح الدين ملك الآشوريين [كذا]، الذي هرب من أمام الامبراطور، وتخلى له عن كثير من البلدان والمواقع الحصينة.

ومن الممكن قبول كل انسان من ممالك انكلترا، وفرنسا، واسبانيا، ومن جميع الذين يعيشون على هذا الطرف من الجبال، للانتقال بحراً، وكذلك اللومبارد، والتوسكان، والأبوليين، والغلاطيين، والصقليين، وذلك مع الذين يقطنون الجزر الأخرى من ذلك البحر، ويمكن للذين يخافون من البحر اختيار الطريق الأطول على حسابهم وبجهودهم.

٢٧[13]: وبديهي إن التعاون من أجل مهمة استرداد الأرض المقدسة والحفاظ عليها، أمر هام جداً، ويقتضي الأمر كذلك أن تكون قوى جميع أعضاء الكومنولث الكاثوليكي متوائمة وموحدة، وسيكون من الضروري بالدرجة نفسها، السعي من خلال الأدعية التقوية للكنيسة العالمية نحو الحصول على المنافع الكبرى للسلام، وعلى الاسترداد، والوقاية من الرب الذي تتدفق منه البركات، وهو الرب والمولى للجيوش، وهو وحده سبب السلام والنصر، ولايمكن مطلقاً استرداد الأرض المقدسة، والاحتفاظ بها، إذا ما عدّ قادة الحرب والعساكر الذين تحت امرتهم، أن الاعتماد على قواهم الخاصة كافياً للحصول على نصر عظيم من هذا النوع، والحفاظ على ثماره بشكل دائم، فبهذه الوسائط لن يكونوا قادرين مطلقاً على مقاومة ملائكة

الشر، الذين يناضلون ضدهم، ولن يكونوا قادرين أيضاً على مقاومة إغراءاتهم وإغواءاتهم، لأنه من المعتقد أنهم سوف يتمكنون ببراعتهم من إعاقة المقترحات، المطروحة أعلاه، بقدر ما يستطيعون .

ولهذا السبب يبدو أنه من الموائم السعي من خلال المجمع احداث إصلاح وتغيير في أوضاع الكنيسة المسكونية، بحيث يمتنع الأساقفة، من الكبير إلى الصغير، عن ممارسة المحظورات، التي حرمها الآباء المقدسون، ويمكنهم بذلك الإصغاء إلى مثل، وشرائع، وآراء الآباء، والأخذ بها ومراعاتها تماشياً مع قول النبي: «حد عن الشر واصنع الخير. اطلب السلامة واسع وراءها»[المزامير: ٣٤/ ١٥]، ووقتها عندما يتملكون السلام في قلوبهم، فإن جميع الكهنة، مع رجال الدين قاطبة، والناس الواقعين في عهدتهم، سوف يقومون بشعور روحي واحد بتشكيل جسد سياسي واحد، ووقتها سوف تتحقق كلمة الرسول: «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة» [أعمال الرسل: ٤/ ٣٢]، أو حسب تعبير الفيلسوف: «جميع الفضائل متحدة أقوى منها متفرقة وموزعة»، ويمكنهم وقتها من خلال تقواهم، وتواضعهم، وصلواتهم المتواصلة الحصول على هبة النصر الدائم على الكفار، من الرب، الذي عندما سأله سليمان منحه الحكمة وحدها، أعطاه أيضاً الذهب والفضة وبقية الثروات الدنيوية بحيث تفوق على جميع الذين سكنوا في القدس قبله.

وكون هذا الإجراء أمراً ينصح به، يمكن استخراجه من حوادث حروب يهوذا المكابي ذلك المحارب الرائع مع أخوانه، فطوال الوقت الذي اعتمدوا فيه على ـقواـهم الخاصة استمروا في الاخفاق في القتال،لكنهم حصلوا على النصر عندما طلبوه من السماء، والتمسوه من الحاكم الأعلى على جميع الجيوش، وهكذا تحقق ما قاله الرسول:«لأن كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا»(رومـا: ١٥ / ٤)، وعلى هذا

يتوجب علينا الافادة من حكمة الكتابات المقدسة، وليس من حكمتنا الخاصة، وذلك تماشياً مع نصيحة سليمان حيث قال:«يابني على فهمك لاتعتمد»(الأمثال:٣ / ٥)، وعلى هذا تأسس القانون الذي قال:«لايجوز لأي إنسان أن يعتمد على فهمه».

[15]: ولهذا ينبغي أن نسعى في سبيل سلام عالمي، وأن نلتمسه من الرب، وبذلك يمكننا بوساطة السلام، وفي حقب السلام الحصول على فضيلة كاملة، ومعرفة، لايمكن بوسيلة أخرى الحصول عليها، وقد أدرك الرسول هذا عندما قال:«وسلام الرب الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم»(فيلبي ٤ / ٧)، أفكاركم التي هي نفوس منحت عقلاً، والتي هي بالعادة تتدمر بالحروب، ولاتنال الحماية، وكذلك بالفوضى، وبالتشاحن المتواصل في المحاكم، الذي بالسوء مثله مثل الحرب، ولهذا ينبغي على كل إنسان جيد أن ينأى بنفسه عن هذه الشروط بقدر الإمكان وأن يتجنبها، وعندما يضطر الانسان إلى اللجوء إلى هذه الوسائل، لأنه يكون غير قادر على انقاذ حقوقه بوسيلة أخرى، ينبغي أن يختصرها بقدر الامكان، وأن ينشد السلام وتحصيل حقوقه بهذه الوسائل، بقلب سماوي فقط، وهذا ما بشر به الفيلسوف عندما قال:«الحرب هي وفي نفسها خطأ فادح، وشر مستطير، وكل من يسعى وراء الحرب من أجل الحرب، يكون قد وصل إلى أقصى حالة الشرور»، ومثل هذا، لكن ليس بالدرجة نفسها من التطرف، شرور الصراعات الأهلية، والاضطرابات.

٢٨ — والهدف الذي نسعى إليه الآن، والذي هو غايتنا الرئيسية، هو السلام العالمي، وحسبما قال الفيلسوف:«غاية كل عمل ـقائمة أولاً في مقصده، وأخيراً في تنفيذه»، وعلينا أن نقوم أولاً بإزالة ـكل عائق في وجه السلام العالمي، واحتمالات فرص هذه العوائق، وبذلك نتبع الأسس التي عبر عنها الفيلسوف بقوله:«على كل من يؤيد توكيد هرقل

أن يتخلى ويتنازل عن كل شيء سيتخلى عنه هرقل ويتنازل لو أنه كان حاضراً»، أي عن كل سابقة ومحصلة للتوكيد، لأن التنازل، أو التخلي، عن أي شيء معارض للاقتراح الأول، سوف ينتهي بدحض مشين جداً.

٢٩[15] : يشغل الأسقف الأعلى(أي البابا) — مرآة الدنيا كلها — منصب بطرس المبارك أو كرسيه، وبطرس المبارك هو أمير الرسل، ونائب ربنا يسوع المسيح،المخلص والأب للأرواح كلها، وإذا ما أراد البابا أن ينقذ الأرواح كلها، ويحفظها ومن ثم إعادتها إلى أبي جميع الأرواح، عليه أن يسعى جاهداً إلى إز الة كل حرب من الحروب، وكل ثورة، وكل نزاع، وأن يعلن أن هذا ما ينبغي القيام به، كما يتوجب عليه أن يبدأ بنفسه وبأخوانه الكرادلة، والأساقفة، أي أن يقوم بامتثال ما قد كتب وينفذه وهو:«يسوع ابتدأ يفعله ويعلم به»، (الأعمال: ١ / ١)، وكما قال الرسول:«دعونا نعمل الخير لجميع الناس، بقدر ما نعمله لأنفسنا، ولاسيما للذين هم من أهلنا من أهل الايمان»، (غلاطية :٦ / ١٠، بتصرف)، وعليه أن يتفحص البطاركة، ورعاة الديرة، ورؤساء الأساقفة، والأساقفة، وبقية الكهنة والذين يشغلون مناصب دوقيات، أو كونتيات، أو بارونيات، مع بقية ذوي المناصب الدنيوية، وأن يعرف كيف يعملون، وكيف ينخرطون في أعمال القتال، وكيف هم أنفسهم يثيرون الحروب، التي فيها كما نرى، يلاقي الكثيرون الموت بمشاعر دنيوية — حسبما يحكم الناس — وأيضاً بمشاعر دينية، وأن يرى كيف أن الأساقفة الذين يتورطون بالحرب، يكرسون وقتاً طويلاً للعناية بحروبهم، ويهتمون بها، أكثر من اهتمامهم بخلاص أرواحهم، وأن يرى كذلك كيف أنهم يبددون الكثير من الوقت والمال على هذا النوع من الأشياء، وبالتالي يخفقون في مراعاة ما كتب، حتى في القانون المدني، من أن الاهتمام بمصالح النفوس البشرية هو الأولى بأن يعطى الأفضلية على

كل شيء آخر، وفي البلدان التي لا ينشغل فيها هؤلاء الأساقفة بأعمال القتال، كما هو الحال في إنكلترا وفرنسا، يمكن للانسان أن يرى كيف أنهم يوقفون أوقاتهم على النزاعات الناشئة عن الممتلكات الدنيوية، وكيف أنهم أهملوا العناية بأرواحهم، وانصرفوا نحو أعمال التحكيم المتواصلة، وإلى إدارات الأموال، وإلى الذين يحيطون بالأمراء من أجل تعويضات معتدلة، وكيف أنهم يناضلون ويبذلون جهودهم في سبيل سادتهم وأولياء أمورهم مع الخاضعين لهم لكي يبددوا في هذه القضايا ممتلكات الكنيسة التي هي ملك لفقراء يسوع المسيح، وكيف أنهم يدفعون تعويضات وجوائز للمحامين، وللوزراء، ولقضاة القانون البشري أعلى بكثير مما يدفعونه إلى المختصين بالقانون اللاهوتي، وكيف أنهم يهجرون كنائسهم، ويترددون على القصور ورفقة الملوك من أجل أن ينالوا البراعة والخبرة في مناقشات المنتديات، وكيف أن التلاميذ الشباب، يقومون بعد مشاهدتهم لعادات ولأعمال الأساقفة، بإهمال دراسة الفلسفة، والقانون اللاهوتي، ويتدفقون جميعاً على مدارس القانون المدني، ولاينالون في هذه المدارس: بوساطة البراعة القانونية، المنافع الكبيرة فقط، بل الأسقفية العليا أيضاً، وهم بذلك إنما يحذون حذو الكثيرين الذين نجحوا في استحواذ الأسقفيات الكبرى من خلال معارفهم وممارساتهم للقانون المدني، أو لم نصل إلى نقطة بات فيها الكهنة النظاميون الذين يمتلكون معارف في الفلسفة والشريعة اللاهوتية هم قلة فقط؟

أولا غالباً ما يمضي الأساقفة وقتاً سنوياً أطول للعناية بالمسائل الدنيوية والاهتمام بها، والعمل بمزيد من الوقت من أجل منافعهم الخاصة في هذه المسائل أكثر من العمل من أجل خلاص الأرواح التي عهد بها إلى عنايتهم؟ وعندما يكون هناك كاهن كان قسيس كنيسة ثم صار أسقفاً، كم من المرات نراه مكرساً طاقاته للاستحواذ على منافع

دنيوية، بدلاً من أن يعمل أكثر من ذي قبل في سبيل خلاص الأرواح؟ أو لا يبقى الأساقفة، عندما ينشغلون بقضايا قضائية حول مسائل دنيوية، أقل نشاطاً أو بدون عمل تقريباً؟ أو لا يعيشون في رفاه عظيم، أعظم من رجال الدين الآخرين، وأعظم مما عاشوه هم أنفسهم قبل الوصول إلى منصب الأسقفية؟ وعندما يتولى الأساقفة الوعظ أحياناً والمطالبة بسلوك حسن، أو لا يحدث مراراً أن الشعب الذي يستمع إليهم، يقوم بتوجيه النقد إلى محبي القضايا القضائية المدنية واتهامهم، ومعهم المجرمين المدانون بالشره، والنهم، والظلم، أو لم يعتد الذين تعذبوا، أو أرغموا، على القول:«نحن نسمع هؤلاء الناس يتفوهون بكثير من الكلمات الطيبة، لكننا نراهم يفعلون العكس؟ ونستطيع نحن أن نشملهم بكلمات المخلص التي قال فيها:«على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون»(متى : ٢٣ / ٢ — ٤)و«من ثمارهم (أي من أفعالهم) تعرفونهم»(متى : ٧ / ١٦) وفي إشارة إلى هذا الموضوع قال الفيلسوف في كتاب القيم:«الذي يتفوه بكلمات طيبة ويصنع الشر يعبر عن نفسه ويعلن أنه معلم زائف».

٣٠[16]: ويتوجب على الأسقف الأعلى أيضاً أن ينتبه ويراقب كيف يقوم رعاة ديرة طائفة القديس بندكت — الذين يتوجب عليهم إدارة ممتلكات الدير والعناية بها — بالعيش بشكل عام في بيت الرب، وكيف يراعون بشكل عام أيمانهم حول الفقر،والرهبان الذين لايمكنهم الاستحواذ على أية ممتلكات خاصة من دون اقتراف ذنب عظيم، هم أثرياء، ويسعون وراء الحصول على الهبات في داخل الدير، وفي خارجه، ويعهدون بها إلى أصدقائهم، وعندما يموتون، يرث هؤلاء الأصدقاء الممتلكات مما يقود إلى دمار أرواح كل من المعطي والآخذ، ويعدّ الأكثر حكمة بين هؤلاء الرهبان، الرهبان الذين في أكياس نقودهم المال

الأكثر، وذلك مراغمة لأيمان رهبنتهم، ولدى هؤلاء الرهبان أيضاً خارج الديرة عدداً من الرعاة غير الديريين، يتعاملون برساميل كبيرة ويبذلونها، لصالح اثنين أو ثلاثة من الرهبان، فبعدما يزودوهم بالطعام وبالكساء، يقوم رعاة هذه الأماكن الملحقة بإيداع كل المتبقي في أكياس أموالهم، مع أنها من أملاك فقراء المسيح، ويستخدمون هذه الأموال الفائضة لتقديم دعاوى وشكاوى ضد رؤسائهم الديريين، أو لغايات شريرة، أو في أحسن الأحوال للحصول على إعفاءات من واجبات أخرى، حتى من أداء صلواتهم، فهم ماداموا يتولون مهام الرعاية،تراهم يتولون خرق أيمانهم وتعهداتهم، وهي ذنوب نادراً — أو مطلقاً — ما يقومون بالتوبة والاقلاع عنها أو بالاستغفار منها، في أوقات تالية.

٣١ : فضلاً عما تقدم غالباً ما يمارس الرهبان في هذه الديرة حياة كلها رفاهية، ومجون واحتساء للخمور، مع أشكال أخرى من حياة الفجور، وفي بيرغندي يترهبن أبناء النبلاء أحياناً، بقصد الحصول على الرعوية من هذا القبيل، ليتمكنوا ليس فقط من الحياة براحة لا بل حتى للحياة برفاهية في الجامعات، وقد سمع السيد البابا عن كثيرين ممن يفعلون هذا، ومن المعتقد أنه على دراية جيدة بهذه الممارسات من خلال حياته في المدن الجامعية، وكثيراً ما كان رؤساء الديرة مع المسؤولين الآخرين في الطائفة نفسها مهملين، تقاعسوا عن تقويم مثل هذه الشرور، وهم يترددون في تصحيح الأخطاء لخوفهم من المنازعات والخصومات مع الذين ينبغي أن لا يخافوا منهم.

٣٢ : زيادة على هذا، هناك عدد كبير من الرهبان الشبان، يثيرون المشاكل والخصومات، ومن ثم يكونوا راضين في إرسالهم إلى الزنزانات، فقط على أمل بعثهم إلى مثل هذه الديرة، حيث سيتملكون المزيد من الحرية ومن ثم ممارسة حياة كلها فسوق.

٣٣ [17] : وعلى السيد البابا أيضاً رؤية كم كثير من الحروب الكبيرة

والمرعبة، قد أنشبها أسلافه من البابوات، أو ما أن تفجر بعضها حتى أيدوها للدفاع عن ميراث بطرس المبارك، وكم هو كبير عدد الكاثوليك الذين أصدروا بحقهم أحكام الحرمان الكنسي والتكفير، لقيامهم بغزو هذا الميراث، وقد مات كثير من هؤلاء الكاثوليك وسط ذنوبهم، دون وجود أية علامة على التوبة والاستغفار، وعليه أيضاً أن يعرف كم هي المبالغ التي أنفقتها الكنيسة في مثل هذه الحروب، أو بسببها، ولربما تتطلع إلى إنفاق آخر في المستقبل.

٣٤ : وعلى البابا أيضاً أن يهتم بالأصوات التي ترتفع في كل مكان في الأراضي الخاضعة للكنيسة الرومانية، عندما يجري اتهام إنسان ما بالسيمونية.

أو لا ترون كيف يتقبل السيد البابا والكرادلة الهدايا من كل واحد أضفيت عليه المنافع، ولا سيما الذين منحوا منصب الأسقفية؟ وكيف يقومون من خلال عملائهم، بتدبر إقراض الأموال التي استخرجوها منهم، ولاسيما من الاعفاءات، إقراضها إليهم مقابل فائدة باهظة جداً؟ وألا ترون كيف، عندما يجري انتخاب اثنين إلى المنصب نفسه، وواحد منهما فقط يمكنه شغله، فيقومان بالعادة بتقديم التماس إلى مجلس الكرادلة، ثم بعدما يتحملان نفقات ثقيلة، ويمنحان الأعطيات، ويعانيان من المصاعب ومن المخاطر على الطريق، وعند الكرادلة، يجري رسم الاثنين وتسليمهما المنصب نفسه، وأحياناً يرغم أحدهما على التخلي عن حقه، ووضع القضية كلها بين يدي السيد البابا؟ وكيف اعتاد الناس على أن يؤمنوا للآخر كنيسة أو ديراً؟ وكيف أنه بات من عادة الذي هو من هذا القبيل، أن يستعد لأن يقدم إلى هيئة الكرادلة مبلغاً كبيراً من المال، يكون أحياناً سبعة آلاف، أو ثمانية آلاف، أو عشرة آلاف ليرة، يقترضه مقابل فائدة ثقيلة، يتولى تحصيلها، الذين يسمون أنفسهم بشكل مكشوف وكلاء البابا المصرفيين، ويقال بأنهم يتسلمون أموال

البابا، ويتولون العناية بها، ويقرضونها مقابل فائدة.

٣٥[18]: وعلى السيد البابا أيضاً أن يقدر أنه بما أن الكرادلة يشغلون مناصب عالية جداً، فإنه من الضروري بالنسبة لهم إنفاق مبالغ كبيرة من المال للمحافظة على مستوى العيش الحديث، وبالوقت نفسه ليس لديهم موارد البتة، تتناسب مع ألقابهم، لذلك بات من الضروري بالنسبة لهم — مثلهم مثل المرتزقة — أن يعيشوا من وراء السلب فكيف يمكن لهؤلاء الذين اعتادوا — أو أرغموا على التعايش مع مثل هذه الارغامات — أن يكونوا مقومين مناسبين للقاضي الأعلى، أو العمل قضاة تحت إدارته؟ ففي مثل هذه المسائل من المفترض أن يمارس الأغنياء استخدام سلطاتهم الرسمية بطريقة محمودة، والعكس هو الذي يمارس في قضية الفقير، لأن الفيلسوف قد قال«الأضداد تولد الأضداد وتسببها»، والذين يختلفون بشكل واسع يقدمون المتناقضات، وتفسد العدالة بشكل عام بوساطة الرشوة، والوساطات، والخوف، والكراهية ، والشره، وشرور مماثلة، وذلك حسبما تحدث آباء الكنيسة من خلال خبرتهم، وحسبما كتبوا في القانون الكنسي، وكل إنسان يعتقد ويقول:«الهدايا تقبل مشروطة»، ومثلما كتب المعلق على ابن رشد:«ما من شيء شاع بين الناس، كان كله زائفاً».

٣٦[19] :وهذه الذنوب والفرص من أجل اقتراف الخطايا، وكذلك الأشياء الأخرى تعرفها جلالتكم الملكية عظيمة التجربة، تمام المعرفة، وينبغي أن تجتث في المستقبل بشكل كامل،آخذين بعين التقدير الذي كتب في القانون الكنسي، والذي هو مقبول في كل مكان، والمقصود بذلك:«إن الذي يعمله الأساقفة يتخذ مثلاً يحتذى من قبل الرعية»، وإذا لم تعالج هذه الشرور، يمكن للظلم أن يظهر، عندما ينبغي أن تأخذ العدالة مجراها، ولسوف تهتز الأعمدة، وبذلك ستسقط الواجهة كلها، ولهذا كُتب:«إذا ما أذنب الكاهن المرسوم، فإنه سيؤدي بالناس إلى

الوقوع بالخطأ»، ويمكن للأساقفة، الذين ينبغي أن يبرهنوا على أنهم أنفسهم أطباء النفوس بالقول والعمل، أن يسببوا انتشاراً واسعاً للمرض نفسه الذي يتوجب عليهم معالجته، فلمعالجة مثل هذه الأمراض أطلق عليهم اسم آباء الأرواح، وجرت ترقيتهم إلى مناصب رفيعة، ومن ثم منحوا كل شيء جيد في هذا العالم.

افترض أن طبيباً تعين لمعالجة الابن الوحيد للملك وولي عهده،لا بد من أن يتلقى كثيراً من الجوائز، والترقيات، والتشريفات، ومثله حال أسقف من الأساقفة حيث يتلقى ما يتلقاه من أجل حفظ الأرواح، ولنفترض أن الأسقف وقتها سوف يجلس أمام المريض الشاب فمن خلال إهماله سيكون سبباً لمرضه، ومن ثم سبباً لوفاته، عن طريق شربه أو أكله بحضوره شيئاً رغب الطفل بتناوله، غير أنه كان قاتلاً له، وافترض أن الصبي قام بتقليده، وخيل إليه خطأ أنه سوف يكون أقوى بتناوله الطعام والشراب الذي يتمتع به الطبيب، أو أن يقوم بتذوق ما هو محظور، ويكون هذا سبباً لمنيته، فما هو وقتها واجب الملك وحقه نحو مثل هذا الطبيب،ألا ينبغي أن يقول نه:«لقد حرمت على ابني تناول الطعام والشراب المميت الذي رغب به، لكن لأنك تذوقت ذلك بحضوره فإنه رغب بذلك أكثر من ذي قبل، لأنه وثق بأعمالك أكثر من وثوقه بكلامك، ولقد تذوق ذلك، ومات من هذا السبب، أو لا تعرف أن الذي يهيء الفرصة للأذى يعد مسؤولاً وكأنه مارس الأذى بنفسه؟ وأن التعليم بالأفعال أفضل من التعليم بالكلمات؟ وأوليست قوة الرغبة عندما يكون موضوعها مرئياً، أكثر إثارة ودفعاً منها عندما يكون موضوعها غير مرئي؟ أو لم تلاحظ هذا الشيء في ميول فحول الخيل والثيران نحو الإناث من جنسها؟ أو لم تقل الكتابات المقدسة:«رفقة المرأة واصطحابها ينبغي استبعادها حتى يكونوا أقل رغبة»، ولقد أجزت نفسك لدي على أنك بارع ومجرب، غير أنك

أذنبت بحقي في هـذا، فقـد أقمت الفـخ الذي تذوق فيـه ولدي هذا الطعام المميت، ومات منه، فأنت مسؤول أخلاقياً من أجل موته، ولهذا ينبغي أن تموت»، فمن الذي يمكنه أن يقول بأن الملك حكم بشكل غير عادل في هذه المسألة؟.

أولا نرى بوضوح بأن الأساقفة غالباً ما يكونون متغيبين ومهملين القيام بواجب العناية بالمسائل الروحية، بسبب إنشغالهم بالمسائل الدنيوية التي هي ذات محصلات وفوائد قليلة، والتي بدونها سوف يعيشون مهما كانت الأمور — بشكل جيد؟ أولا تراهم يبدون اهتماماً أكبر وعناية أعظم بالذين يدافعون عن مصالحهم الدنيوية، من الذين يهتمون بمصالحهم الروحية، أو لا يجيزون هؤلاء بجوائز أكبر، وهم لم يعتادوا على فعل ذلك بشكل علني؟.

(٢٠) وعندما يرى رعاة الأرواح الأدنى مرتبة رؤساؤهم يتصرفون هكذا، أولا تراهم يميلون إلى تقليدهم وفعل الأشياء نفسها، لكن بطريقة فجة أكثر، أولا يتماشى هذا مع مبدأ أن اليقظة تجذب يقظة، وبالتالي يوّلد الإهمال الإهمال؟ أولم يقل المخلص:«لأنني أعطيتكم مثالاً حتى كما أحببتكم أنا، تصنعون أنتم أيضاً»(يوحنا :١٣ / ١٥)، وإلى هذا أشار الرسول بقوله:«ينبغي أن يكون كل عمل من أعمال المسيح أمراً لنا»، أولايتوافق القانون المدني مع هذا عندما يقول:«ليس مهماً فيما إذا عبر الشعب الروماني عن إرادته بالكلمات أو بالأفعال نفسها، والحقائق هي ذاتها»؟ أو لاينبغي على الأساقفة أن يكونوا متيقظين — كما يقول القانون — من أجل أنفسهم، خشية اقترافهم للخطأ، وخشية أن يبدون صناعاً للخطأ، وبذلك يجلبون لأنفسهم سمعة سيئة؟ ومن أجل الذين عهد إليهم بأمر العناية بهم، ومن أجل جيرانهم، وأقربائهم، خشية أن يقلدهم هؤلاء ويحذون حذوهم.

أولا نعرف — تبعاً لما بشر به الآباء المقدسون — أنه ينبغي أن

تتضمن أعمال الأساقفة الأشياء التالية، وهي قراءة الكتابات المقدسة وتعليمها، وأن يزيلوا بصلواتهم ذنوب الرعية التي وضعت تحت عنايتهم، وفي حالات الذين لا يكون هذا الاجراء كافياً، يتم اللجوء إلى اللوم والتأنيب، والتقويم، ومعاقبة الذنوب المعروف والمتداول أنها اقترفت، تاركين الذنوب الخفية إلى حكم الرب وحده؟ أولا نرى أن الأساقفة الكبار غالباً ما يتوقفون عن أداء واجباتهم ، لأنهم يكونوا مشغولين بالمسائل الدنيوية؟ أولا نرى أي نوع من أطباء الأرواح اختار هؤلاء الرجال ليكونوا معاونين لهم، وبأي اعتبارات قد تأثروا، مع أنهم يعملون في هذه القضية عوضاً عن الرب؟ ثم ما هي سمعتهم وما هو احترامهم؟ أو لم يحلوا روابط الدم، والروابط الاقليمية، والخدمات الدنيوية، فوق العقلانية، والحكمة، والخبرة، لدى الأطباء الذين عينوهم مكانهم؟، وبناء عليه أولايتبصرون ويرون كيف يمكنهم السداد إلى الرب الواحد، عندما يكونون مرضى تماماً، ويسعون لتأمين خدمات هذا الطبيب الفرد، وأولا يحق له الذي زودهم هكذا بالواحد المتوفر، أن يطلب تزويده بقبول الشرط الذي تسلموه من المسيح، الذي يرى الجميع؟.

افترضوا وجود ملك أو امبراطور كان على وشك الشروع بحرب كبيرة، فيها مخاطرة بفقدانه مملكته أو امبراطوريته، إذا ما أخفق بالحصول على النصر، وافترضوا أيضاً أنه يمكنه اختيار قائد فرد واحد من أجل هذه الحرب، وأنه سيعهد باختياره لواحد محدد من بين رجاله كان قد أعطاه عطايا كثيرة، مثل أنه كان رجلاً فقيراً جداً، فرقّاه لأن يكون رئيس أساقفة كرسي كولون بوساطة الامبراطور، ولنفترض أن رئيس الأساقفة ذاك، الذي سيكون اختياره ضرورياً للدعم — مهما كانت النتائج — سوف يرى أن قائد الحرب ذاك سيغتني كثيراً، وافترضوا أنه على هذا الأساس وقع اختياره على شاب قريب منه برابطة الدم، أو

بالخدمة، أو بالقومية، وأهمل بذلك رجلاً مسناً مجرباً، قد اعتاد على أعمال الحرب، لكنه لم تكن له روابط برئيس الأساقفة، لو أنه قام بهذا الاختيار، وفضل غير المجرب على الرجل المجرب، والجاهل على الرجل الحكيم، أو لن يلعن من قبل كل إنسان؟.

أو لم يعهد المسيح — أبو الأرواح كلها، وهو راغب أن يكونوا جميعاً منتصرين في الحرب ضد الشيطان — باختيار القادة لهذه الحروب التي هي من أخطر الحروب إلى الأسقف الأعلى، الذي هو نائبه الممنوح سلطات واسعة جداً، ودعا الأساقفة الآخرين كل حسب حصته من المهمة، وكل أسقف في أسقفيته الخاصة، وإذا ما قام هؤلاء الأساقفة بأعمال اختيار غير عقلانية حكيمة بسبب اعتبارات دنيوية، وإذا ما رفضوا الشخص المنتخب انتخاباً صحيحاً، من أجل تأمين العمل والمنافع لشخص آخر، يحبونه أكثر، أولأنهم يتوقعون أن ينالوا منه الجوائز، وإذا ما أخفقوا في تزويد الكنائس وإمدادها برجال أحسن، لأنهم يفضلون آخرين لأنهم يعلمون أنهم أقل فضلاً، وسمحوا لأنفسهم بأن تقتنع باعتبارات غير اعتبارات إنقاذ الأرواح، أولا يمكن للمسيح وقتها أن يدينهم بدون أدنى شك باقتراف جريمة عظمى ضد الرب؟ ولقد أغنى المسيح الأساقفة إلى حد كبير، إلى درجة أنهم لن يجدوا مسوغاً للحديث عن نقص بالممتلكات الدنيوية، ولا أن يتأثروا بأي مقدار للاتجاه نحو مثل هذا الاختيار، بموقف السواد الأعظم من الناس ورأيهم، أو ليس من الممكن للأسقف المتقدم ذكره، أو الدوق، أو الكونت، الذي اغتنى بمثل ذلك، لأنه الذي عهد إليه باختيار القائد، أن يعدّ منطقياً مجرماً جريمة عظمى بحق الرجل وضده عندما يعاني قائد الحرب من هزيمة مأساوية، بسبب اضطرابه، وطريقته غير المجربة في تنظيم الجيش وقيادته؟.

٣٧ : أوليس صحيحا أو حقيقياً أن المؤامرات الخطيرة التي تفجرت

في كنيسة الرب، وبين الشعب المسيحي كله هي من نوعية طريقة الحياة التي مارسها الأساقفة المتقدم ذكرهم، والرهبان، والساقطين الآخرين والمتجاوزين؟ أولم يقل الرسول حول هذه المسائل:«إذا كان أخي يعثر، فلن آكل لحماً»(كورنثوس :٨ / ١٣) وأولم يستشر مصنف القانون كلياً بهذا فقال:«لكي تتجنب العثار، ينبغي أن يكون كل شيء يتوجب القيام به أو إسقاطه هو الذي يصنع أو يسقط من دون اقتراف ذنب عظيم»، ونقرأ في مكان آخر من القانون:«حتى ينقذ الانسان حياته الدنيوية على المرء أن يفعل كل مايمكنه فعله دون أن يعرض للخطر حياته الأبدية، لأنه لا يجوز لأي إنسان من أجل إنسان آخر، أن يعرض نفسه لاقتراف ذنب عظيم، يتلقى بسببه عقوبة أبدية».

إذا أمكن تجنب الفضائح داخل جماعة صغيرة، وإذا أمكن من أجل هذه الغاية أن يصنع ما ينبغي صنعه، أو أن يترك بدون صنع، الخ، كم هو أهم تجنب الناس الفضائح في أسقفيه، أو في مقاطعة أو حتى في مملكة كاملة؟ أو ليس يظل أعظم أهمية أن يتجنب الناس الفضائح، أي جميع الناس الذين هم رعايا للكنيسة الرومانية، وأن يتجنبوا سوء السمعة، الأمر الذي يمنح الجميع الفرصة للتخلص من سوء ما اقترفوه؟

٣٨ [٢١] ومن هو هناك، ـعارف بشكل جيد بالأـحوال الحالية في الكنيسة المسكونية ومدرك لأوضاعها الفوضوية في القضايا المعروضة أعلاه، والتي هي متباينة تماماً، وتختلف كلياً عن الأساس الذي وضعه أباء الكنيسة المتعلمون والمقدسون، ولايعتقد أن الصلوات الحارة والأدعية العالمية التي تتدفق على الرب من أجل عون الأرض المقدسة، سوف تكون فعالة أكثر بكثير من ذي قبل، لو أن الأوضاع المتقدمة الذكر في الكنيسة المسكونية جرى اصلاحها؟ ومن المؤكدأن الأدعية المخلصة للأساقفة، ورجال الدين والناس جميعاً هناك حاجة إليها من

أجل استرداد الأرض المقدسة والحفاظ عليها، فالقدرة البشرية لن تكون كافية، ولا الأسلحة الدنيوية والسيوف، وهذا هو مقصد القانون الذي حذرنا بقوله: «أعطي الناس بسبب ذنوبهم حكاماً فاسدين أحيانا، وأساقفة أشراراً»، ولأن ذنوب الناس تقف معترضة في الطريق، فهؤلاء الناس غير جديرين بأن يكون لهم حكاماً صالحين، ولا أساقفة مستقيمين، وتتوافق الشريعة الربانية مع هذه المقولة، عندما تقول: «بسبب ذنوب الناس، سأجعل المنافق حاكماً»، وبناء عليه عندما نرى أمراء أشراراً، وأساقفة فاسدين، من المحتمل كثيراً أن هذا بسبب ذنوب الناس»، ومثل هذا، وللسبب نفسه، قد نكون متأكدين أكثر، أن الناس أشرار، بسبب ذنوب الأساقفة، والمثل الشرير الذي يضربونه،وذلك أن الناس يستندون إلى أفعالهم أكثر من استنادهم إلى أقوالهم، وذلك على عكس ما شرعه الرب ودعا إليه عندما قال: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لاتعملوا لأنهم يقولون ولايفعلون» [متى:٢٣/ ٢—٣] .

٣٩ [22]: إن ما تقدم وكذلك المناسبات الأخرى من أجل هلاك الأرواح، وأيضاً العوائق التي تقف في وجه استرداد الأرض المقدسة والحفاظ عليها، معروضة أمام تقديركم الدقيق، وإذا — كما هو معتقد بشكل عام— كان اقتراحكم للعمل بشكل فعال من أجل مثل هذا الاسترداد والحفاظ، صادر فقط عن حماسكم من أجل نيل جزاء أبدي، لعل يرضي جلالتكم الملكية العالية التجربة، التلطف بطلب العون من الأب الأكثر قداسة، كليمنت السيد الحاكم، والذي هو بفضل الحكمة الربانية هو الحبر الأعظم للكنيسة المسكونية الرومانية المقدسة، والذي يعتقد أنه منصرف نحو عون تلك الأرض والاهتمام بها أكثر من جميع المسائل الأخرى، أرجوكم، التمسوامنه، أن يكرس نفسه لإصلاح

أوضاع الأساقفة، والناس جميعاً وكهنة المسيحية جميعاً، من أجل أن يتحدوا بفضائلهم الدينية والدنيوية، (وهذا ما ينبغي أن يفعلوه)وأن يتكرسوا روحياً ودنيوياً، بالقتال بشكل متواصل، فبذلك سيكون من الممكن — بفضل الرب— تسريع نيل تلك البلاد بوساطة نصر يدوم بشكل مستمر، على أعداء الإيمان الكاثوليكي.

ومن مثل سليمان يبدو أن هذا ممكن الصنع، بوساطة سؤال رب الجيوش إعطاء الحكمة الحقيقية والوحيدة، ولسوف يمنحنا هذا، إذا لم نطلب— وينبغي أن لانطلب— المزيد من واردات الذهب والفضة، بل السلام الحقيقي في القلوب والأجساد، ومن ثم سلام المعرفة، وفهم وإدراك كامل، وكذلك فضائل أخلاقية.

٤٠[23]: وينبغي أن يكون السعي للوصول إلى غاية اصلاح الأوضاع مسعى تقوياً عالياً، والحبر الأعظم مثقل جداً، ومشغول كثيراً بالعناية بالمسائل الروحية، إلى حد أنه من الصعب أن نتصور أن لديه متسعاً من الوقت لإدارة أموره الدنيوية من دون الحاق الضرر بواجباته الروحية، ولهذا يتوجب أن يعهد بادارة شؤون الحاصلات، والموارد، والدخل الذي يبقى بعد أعمال الانفاق وبعد دفع الأجور المعتادة وحسمها، والذي يصله بشكل معتاد، ويبقى بين يديه، إلى ملك كبير، أو أن تحول إلى أمير كبير، أو إلى أشخاص آخرين لتكون بمثابة وقف دائم، ويتوجب اتخاذ الاحتياطات المحكمة، حتى يمكن التفكير باتخاذ ضمانات من أجل البابوات المستقبليين، بحصولهم على عطاء سنوي دائم وبدون نقصان، وينبغي أن يحصل الدفع في أحواز ميراث الوقف البطرسي، وذلك حسب الوقت الذي يراه مناسبا، أو يقوم باختياره، وعندها ينبغي للبابا، الصانع للسلام العالمي والمرتقي به، أن لايقوم بإثارة الحروب، وأن لا يكون سبباً لموت الناس فجأة، أو للموت في حرب مرعبة، وسوف يكون لديه وقت وافر للصلاة، ولأعمال

الاحسان، وللدراسة، وللقراءة، ولتعليم الكتابات المقدسة، ومن أجل اصلاح الذين هم دونه، ووقت وافر لإدارة العدالة، ولرؤية أن العدالة تقدم إلى جميع الكاثوليك، ووقت وافر لتأمين سلام دائم إلى جميع المؤمنين بالمسيح، وبذلك يمكنهم العيش بسلام أحدهم مع الآخر، وأن يجاهد بأمانة من أجل استرداد ميراث الرب المصلوب وحمايته، ولن يجاهد البابا المقدس بعد هذا من أجل جمع الثروات، ولن يعاق في تأديه واجبه بالعناية بالأشياء الروحانية، ولسوف يمارس حياة تأملية، وكذلك حياة نشطة، بعون الرحيم معطي جميع الأشياءَ الجيدة.

٤١[24] : على السيد البابا أن يتقصى أيضاً حول دخل الكرادلة والموارد المالية المتنوعة التي يتمتعون بها بلا مساءلة أو ريبة، أو فضائح أو عار، وعليه أن يفرد لهم— وهذا ما يستطيعه بكل سهوله— ما يكفيهم للعيش من وقف ميراث بطرس المبارك، في ظل شروط مشابهة لشروطه، وإذا ما تبرهن عدم كفاية ذلك، يمكن للسيد البابا أن يحصل لهم على تعويض كاف من أملاك الكنيسة المسكونية، وبالتحديد من أملاك الديرة المعفاة، وأملاك الأساقفة الذين يتلقون سيامتهم ومباركتهم من الكرسي الرسولي، ومقابل هذا يمكن لهؤلاء الكرادلة أن يوفروا على أنفسهم الانشغال بخدمات عديدة، وبنشاطات كثيرة، مما اعتادوا على القيام به في مجلس الكرادلة، وكذلك الاهتمام بقضايا الانفاق، مادام ذلك قد سحب من مجلس الكرادلة، ولن يعودوا بحاجة بعد الآن إلى مقاربة هذا الموضوع من أجل هذا الغرض، ويمكن أيضاً للكنيسة المسكونية أن تسهم في مسيرة معايير النظام الجديد الذي يجري تفحصه من أجل أن يكون نافعاً للكنائس، ولسوف يضع هذا حداً للقضايا المديدة المتعلقة بالمرشحين في الانتخابات والطلبات الأخرى لمجلس الكرادلة، التي غالباً ما يجري الاحتفاظ بها هناك لمدة طويلة بسبب الهدايا التي يستمرون بمنحها، ولقد اعتاد هؤلاء الكرادلة على

الانفاق على مراكزهم والاحتفاظ بها من خلال هذه الهدايا غير المنتظمة والرسوم.

٤٢[25] :وبعد تنفيذ هذه الاصلاحات، ينبغي اتخاذ قرار أنه إذا ما قام البابا أو الكرادلة بتحصيل هدايا أخرى إضافية، ينبغي انزال عقوبة قاسية بهم، كما أنه لايجوز لهم الاحتفاظ بالهدايا إذا منحت لهم، والمتوجب هو انزال أقسى العقوبات بمقدمي الهدايا وبالذين يتسلمونها، وينبغي أيضاً تحديد عدد المطايا مع الخدم لدى الكرادلة.

وينبغي أيضاً الإعداد بوجوب تخصيص جزء من ممتلكات وأوقاف جميع الكرادلة المتوفين والأساقفة، من الكبير إلى الادنى، وأن يكرس هذا الجزء ليضاف إلى التمويل المعدّ من أجل الأرض المقدسة، حتى يتم تحريرها بالكامل، وتحصينها كلياً، وإلى هذا ينبغي أن يضاف جميع الممتلكات العائدة إلى رجال الكهنوت الذين يتوفون بدون وريث أو وصية.

٤٣: وينبغي أيضاً أن يطلب من جميع رجال الدين المنتفعين إعطاء ربع ممتلكاتهم إلى التمويل المذكور.

٤٤: كما ينبغي أن يحول إلى التمويل المذكور جميع الأملاك المهجورة، أو التي ليست داخلة ضمن ملكية واحد من الأفراد، أو التي هي محولة إلى شخص غير معروف، أو هي ديون غير مقرر أمرها لأنها حق لأناس ميتين من غير الممكن ايجاد ورثتهم، أو هي منح صارت إلى أشخاص غير معروفين، وتركت بدون مالك محدد، وأملاك أخرى لايمكن بأية طريقة الاحتفاظ بها أو الحصول عليها من دون إلحاق الأذى بإنسان ما.

٤٥[26]: وينبغي أيضا العمل على تحويل وقف مواريث عدد من الأساقفة، لأن هذه الأوقاف قد استحوذوا عليها من أجل خدمات عسكرية، وأمكنهم المقاضاة من أجلها في المحاكم المدنية، نعم تحويلها

بالطريقة نفسها إلى لجنة وصاية وحفظ مناسبة، مقابل عائد مالي سنوي دائم، وإذا لم يمكن إيجاد المستحقين الحقيقيين لهذه الأوقاف على الفور، ينبغي تسلمها ووضعها مع دخولهم المقررة تحت الوصاية لمدة سنتين أو ثلاث سنوات، من أجل التمكن من معرفة قيمتها بشكل أفضل، وبذلك يمكن تجنب امكانية التزييف بتقدير القيمة من قبل الذين حولوا المواريث إلى شكل دائم، وعلى كل من يتسلم اقطاعات عائدة إلى أساقفة، أن يسجلوا أملاكهم الخاصة لتكون بمثابة ضمان إذا لم يقم بدفع الاعانة السنوية المتفق عليها، يجري تحويل الضمان إلى الكنيسة ليكون ملكاً دائماً لها، وسيضمن هذا الاجراء الكنيسة من التعرض للخسارة في دخلها بوساطة التزييف.

وفقط لو أن العدو القديم أخذ يعاني، من المتوجب تنفيذ هذه الاصلاحات، فوقتها سيرى أنه قد خدع بهذه الأعمال الإجرائية، وأن أحابيله، وإغواءاته قد أعيقت بذلك كثيراً، وإذا ما امتلك الأساقفة بوساطة هذه الإجراءات، دخلاً أقل من ذي قبل، فإنهم لن يخسروا شيئاً لأنهم سوف يوفرون أكثر بكثير— حتى من الجانب المالي— عن طريق رواتب المحامين، والوكلاء، وفي النفقات الشخصية من أجل رؤساء المحاكم، ومسائل أخرى كثيرة، هم بالعادة يثقلون بها بسبب أراضيهم الموروثة.

وبعد تفحص هذه الاقتراحات بعناية— مثلما فعل كاتب هذه الرسالة شخصيا، وتفكر فيها— لاشك أن الأساقفة سيكونوا قادرين على استغلال هذه الاصلاحات من أجل زيادة الموارد العظيمة التي تتدفق على أكياس نقودهم، إلى حدود لم يتمعوا بها حتى الآن، ومع ذلك سوف يتمتم بعضهم— وقد أثارهم الشيطان— ضد هذه الاقتراحات، ويسعون عبثاً للحصول على مسوغات وأعذار كلامية وفذلكات أخرى حتى يتمكنوا من تجنبهم: آمل من الذي يعرف الأشياء

جميعاً منذ الأبدية، أن يتفضل بنعمته بالقتال ضد هذه الاعتراضات.

وبهذا الاصلاح، سوف يجد بعض الأساقفة الذين اعتادوا على الانفاق على عشرين أو أكثر من عشرين من الحاشية والخدم، وعلى نفقات أخرى كثيرة، سوف يقتصرون على الانفاق على أربعة.

وسوف يكون بعض المحامين العاملين في المحاكم المدنية هم الأكثر خسارة بهذا الاصلاح، لأن الأساقفة، الذين سوف يستحوذون على أوقافهم من الآن فصاعدا على شكل مبلغ سنوي محدد، لن يكونوا بعد الآن مسؤولين عن الدفع لهم الرواتب المعتادة والنفقات الأخرى، التي اعتاد هؤلاء المحامون على تسلمها من مصادر كثيرة، وبطرق متعددة مباشرة وغير مباشرة.

٤٦[27]: وإذا ما تحققت هذه الاصلاحات فإن جميع مصالح ومنافع الذين يعبدون المسيح سوف تكون قد تأسست بمثابة هدف واحد هو ذلك الهدف، وبذلك يتجنبون نشوب النزاعات ووقائعها، ولسوف تتوجه جميع جهودهم نحو دعم الايمان المسيحي والرفع من شأنه، وسوف يكون هذا متماشياً مع المنطق لأن الفيلسوف يقول: « العالم هو وحدة، مثلما الجيش هو وحدة»، ويعدّ الجيش وحدة بسبب اتحاد تنظيمه، لأن هدف الجيش الذي يسعى إليه القادة، ويعملون من أجله هو النصر، وعلى كل رجل في الجيش أن يأخذ بهذا الهدف ويناضل بكل قواه من أجل الوصول إلى هذه الغاية، وإذا ما نفذ هذا كما ينبغي، فنادراً — إن لم يكن مطلقاً — ما سيخفق الجيش في مساعيه وتحقيق أهدافه.

ووفق هذه الطريقة ينبغي توجيه قوى العالم نحو هدف واحد، أي نحو الخالق الجبار للسموات وللأرض وللأشياء كلها، وحسبما يقول بوثيوس Bothius كل إنسان يسعى من أجل هذا الهدف، غير أن عدداً كبيراً من الأشخاص الأشرار يقترفون الخطأ، وينشدون ذلك

الهدف في الحانات، وفي بيوت اللعارة، وفي أعمال اللصوصية وفي النهب، وفي السيمونية، وفي الأعمال الأخرى غير القانونية، ويقترف هؤلاء الأشخاص الأخطاء باتساع، ومثلهم مثل الذي يسعى لاصطياد السمك في الجبال، ولصيد وحوش الأرض في البحر، والذي ينشد ذلك الهدف، ويبحث عنه حيث هو يجده، وبما أن هؤلاء هم — أو هكذا ينبغي — أكثر الناس كمالاً، مثل الأساقفة، عليهم السعي وراء هذا الهدف ونشدانه لا في الحروب، ولا في الأعمال القضائية، ولا في المشاحنات، ولاسيما حول المسائل الدنيوية، بل في قراءة الكتابات المقدسة وفي تعليمها، وفي الصلوات، والأعمال المتعلقة بيوم القيامة، وذلك حسب طرائق مريم ومرتا، والذي عليهم السعي في سبيله هو السعادة الدينية والدنيوية، وذلك حسب عبارة الفيلسوف، وإذا ما قاوموا الاصلاحات المقترحة، وناضلوا من أجل العودة إلى مشاحناتهم الدنيوية، ومشاغلهم الآنية، فإن الكلمة التي قالها المخلص عن مثل هؤلاء الناس يمكن تطبيقها عليهم، وأعني بذلك قوله:«ليس أحد يضع يده على المحراث، وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الرب»،(لوقا: ٩ / ٦٢).

٤٧ [28] : ولسوف يكون هذا الاصلاح ممجداً جداً، ومتوائماً مع أوامر الرب القدير،«الذي ينبغي أن يكون عمله أوامر بالنسبة لنا»، وذلك تماشياً مع قول الرسول، ذلك أن هذا العمل يمكن البرهنة على أنه حاسم.

وإنني أعتقد أن ما كتب في العهد القديم هو نموذج وأساس للعهد الجديد.

وأعتقد أبعد من هذا بأن الرب أعطى أرض الميعاد — التي صارت تعرف بالأرض المقدسة، لأنها تقدست بحضور الرب وعمله ودمه بها — إلى الأسباط الاثني عشر من بني إسرائيل، لأنهم خدموه، وحافظوا

على عقيدته، وشريعته ووصاياه.

وأعلن أيضاً عن إيماني بحقيقة أن أبناء لاوي من كهنة ولاويين، قد بشروا بشريعته وراعوها،وخدموا الرب بعناية أكبر من الآخرين، ومع هذا قضى الرب أن يكون لهم حصة في توزيع هذا الميراث، بل أمر يوشع بتقسيمه بين الأسباط الأحد عشر، وجرى تعيين سبط لاوي للقيام بعبادة الرب، وتوجب عليه أن يرضى بنيل عشر حاصلات الأسباط الأخرى، وقد فعل هذا حتى لا ينشغلوا ويبتعدوا عن عملهم اللاهوتي بالعمل في زراعة الأرض.

٤٨: وبناء عليه إذا ما حصل الأساقفة مقابل ميراثهم الوقفي على ما يكفيهم من المال للعيش — بالحقيقة بقدر ما كانوا يحصلون عليه من قبل بعد اقتطاع النفقات والرسوم المعتادة وإذا ما رفضوا هذا بسبب أنهم ربما يمكن أن يحصلوا على ثلاثة أضعاف أقل مما اعتادوا الحصول عليه في ظل النظام القديم،(وهذا ما لا أعتقده، لكنني مقتنع تماماً أنهم سيحصلون على دخل أكبر من ذي قبل)أو لن يكونوا غير متوائمين مع قواعد تعاليم الرب؟ وإنهم إذا ما وضعوا جانباً تعاليم الرب وحكمته، بسبب أن موقفهم يسير بالاتجاه المعاكس، أو هو مضاد لأعمال الرب ولتعاليمه، أو لن يرفضوا بحق من قبل الرب الذي سوف يقول لهم:

«لقد رفضتم الفرصة التي قدمت من أجل خلاص أرواحكم، وخلاص أرواح الذين أنتم مسؤولون عنهم، واخترتم طريق الهلاك لأرواحكم، ولأنكم هكذا، انظروا إلى الخلف، فأنتم لاتستحقون ملكوتي، وبتصرفكم هكذا أنتم لم تصغوا إلى أوامري، ومبادئي، وآرائي، وقد رفضتم أن تحبوني، وأن تحبوا جيرانكم من كل قلبكم، وسعيتم وراء تسويغ لإخفاقكم الواضح في أن تحبوا من صميم قلبكم، وإنكم لم تدركوا أن الفيلسوف، الذي يستخدم المنطق المجرد قد كتب:«الذي يقدر التهنئة من أجل سعادته التأملية، يستحق الطعام، واللباس،

والأشياء الأخرى الضرورية لقوام الحياة، لكن ليس هناك من حاجة لأن يكون سيد البر والبحر»، وإنكم حتى لم تدركوا أنه في قانون الآباء المقدسين، قد ضرب مثل جيد بسقراط، ذلك الرجل الذي جاء من طيبة، وألقى الثروات في البحر، من أجل أن يتمكن من التفكر والتعبد وهو غير مشغول البال، وهو لم يرفض الثروات فقط، بل إنه لم تتوفر لديه الرغبة فيها، مع أنه كان مشغولاً دوماً بالمشاحنات، والمحاكمات، والحروب، ولقد رفضتم ثروة سلام ستكون بدون أدنى شك أقل إعاقة للتأمل».

فكيف يمكن للأساقفة أن يجيبوا، وكيف يمكن لهم أن يسوغوا أنفسهم، إذا ما رفضوا القيام بتنفيذ اقتراح الاصلاحات؟.

[29]: وإذا ما جرى تبني هذه الاقتراحات، لن يتمكن أعداء السلام، كما يبدو، من تقديم مسوغات مقبولة لإعاقة مثل هذه الاصلاحات، ولسوف يشعرون بالاحراج، ومن المحتمل كثيراً أنهم سيخدعون برغباتهم، وذلك على الرغم من قدرتهم على رؤية كل شيء وتذكره في الحاضر، وفي الماضي منذ بداية الدنيا، وإذا ما حاول أي إنسان الاعتراض، سوف توجه إليه النصيحة بأن يقوم بمحاولته بحجة تعدد القراءات، وأخطاء النساخ في الكتابات المقدسة، علماً أنه لا يمكن نشر الكتابات المقدسة، من دون أن تكتب في أوقات مختلفة، حتى من قبل الكاتب نفسه، ولا من دون أخطاء إضافات أو حذف، وذلك حسبما يقول القانون المدني، ومرد هذا إلى وئام الحركات في السموات، مع تبدل توجهاتها، وكذلك إلى الأجسام السماوية،ولكن بما أنه بالنسبة للهدف الذي ننشده«لايوجد تغيير، ولا أثر للتبديل» فإن الأساقفة لن ينظروا إلى قراءات متنوعة، وإذا ما رغبوا في استخدام وسائل المقارنة هذه، ولسوف يجري توجيههم من قبل المنطق الصحيح، وليس بالأمثلة، والقول:«لقد تولى آباؤنا المقدسون الكثيرون، وأساقفة الكنيسة

الرومانيـة المقدسة، والكنائس الأخـرى، والذين كانوا أقـدم منا وأكثر حكمة، تولوا إدارة المواريث الوقفية على هذه الشاكلة، ونحن نرغب في تقليـدهم بالعيش، في ولاية المواريـث الوقفيـة بالطريقـة نفسهـا»، ومن الممكن إجابتهم كمايلي:«هذا ليس بقيـاس، لأن الآباء المقدسين كانوا من ذوي العزم، وقد أداروا شؤونهم الدنيوية والدينية بشكل مقنع، وعندما تتبع المحـدثون مثلهم كـان مـا فعلـوه هو زيادة المشـاحنات زيادة كبيرة وذلك مع الأخطاء الانسـانيـة، ووفقـاً للقـانون المدني ليس علينا إعطاء اعتـبار«لما صنع في روـما، ولما لم يصـنع، بل علينا أن نهتم بما صنع، وبما ينبغي أن يصنع»، و«علينا أن لا نتردد في تبنـي طرائق جـديدة، عنـدمـا تكون فوائدها واضحة».

[30] أو لم يقل ابن رشـد بأن العـرب قد عـانوا من الشرور، لأنهم اعتقدوا بوجوب إطاعة شرائعهم عالمياً، ولا يجوز تعديلها بأي حال من الأحوال؟ أولم يتشكل كل قـانون وكل نظام للشريعة المدنيـة وفقاً لما هو جـيد ومفـيد؟ وفي الحقيـقة نادراً ـما يمكن إيجاد كل شيء في هذاالـعالم يمكن أن يكون جيداًونافعاً في كـل مكان، وفي كل زمان، ولكل إنسان، وعلى هذا تتنوع قـــوانين البشر وشرائعهم، وفقـــاً للمكان وللـزمـــان، وللحالات الفردية، وقد قال كثير من الفلاسفة بأن هذا ينبغي أن يكون هكذا عندمـا تتطلب المنافع ذلك بوضـوح، ولقـد غير الرب، الذي هو رب المـعارف كلـها، والذي هو معلم الآباء المـقدسين، والـفلاسـفة، في العهد الجديد أشيـاء كثيرة، كان قد أمر بها في العهـد القديم، ليعلمنا أن نعمل مثلها، وأن نفعلها من دون تحريف، وقـال القانون الرسولي، الذي جـرى إعلانه من قبل الآباء المقـدسين المتقدمي الذكـر، هذا في كثير من الكلمات من ذلك:«ينبغي أن لا نـعد أنه أـمراً مشـجوباً، أن الـقوانين البشرية تتغير أحيـاناً مع تغير الوقت، لأنه حتى الرب نفسـه غيّر أشيـاء كثيرة في العهـد الجديد، كان قـد أمـر بها في القديـم»، وعرض القـانون

المدني الأمر وحدّده على الصورة التالية:«كل تحديد في القانون المدني هو خطير، لأن الذي لا يمكن تغييره هو غير كاف»، وتقول قاعدة أخرى:«في شريعتنا مبادىء عامة تتعدل بالاستثناء».

وبما أن الأمر كان هكذا، فينبغي أن يكون الأسلوب لوضع القوانين: بما أن القانون العام قد سنّ من أجل الصالح العام، فإنه إذا بدا أن أي شيء فيه كان قاسياً بلا مسوغ أو مختل، أو هناك نتائج ظالمة من تطبيق ذلك القانون بدقة في قضيةخاصة تحت القاعدة، لقد كان، وينبغي أن تكون القاعدة في مثل هذه الحالة، اتخاذ قرار مخالف مباشرة، خشية أن ينشأ ظلم من القانون العام، أي أن تقول ينبغي تطبيق قانون خاص على قضايا خاصة، وبحدود، وتعديل القانون المنشور بشكل عام عندما تستدعي ذلك حالة خاصة.

أولم يقرر القديس أوغسطين — معلم الانكليز، حسبما يُقرأ في قانونه — أنه لن يقوم بسيامة أي رجل دين، ما لم يقم هذا الرجل بالتخلي عن ممتلكاته، ومن ثم ممارسة الحياة الدينية بمثابة راهب؟ وقد وجد فيما بعد، أن عدداً كبيراً، كانوا من أجل أن تتم سيامتهم، يتظاهرون بأنهم سيفعلون ذلك، لا بل يفعلون،وبالفعل كانوا غير ذلك، ولهذا، ولكي يتجنب نتيجة النفاق الشريرة قال:«من المؤكد أنني أنا الذي قررت، أنه لن تجري سيامة أي واحد ما لم يفعل كذا وكذا، ولكن بما أنني علمت أن عدداً كبيراً هم مخادعين، اشهدوا أمام الرب، وأمامكم، أنني مغير لقانوني، وهكذا غير هذا الرجل القديس قانونه في وقت قصير، وتشريعه بسبب سوء تطبيقه،ولقد كان القانون قانوناً جيداً، فقط لو أن رجال الدين لديه راعوه بشكل جيد.

واعتاد كثير من الأساقفة على الدفاع عن مواريثهم الوقفية، متخذين ذلك حجة من أجل الانخراط في الحروب، وفي المحاكمات، ولقد أهملوا واجباتهم الروحية، أو على الأقل أعطوا إهتماماً أكثر لمواريثهم الوقفية،

وبسببهم تحملوا المزيد من النفقات، وبذلوا المزيد من العناية، والجهد، أكثر مما كرسوهُ لواجباتهم الروحية، فلماذا لا يعهدون بواجب الدفاع إلى آخرين، محتفظين بالدخل المعتاد لأنفسهم بعد دفع النفقات والأجور، ويكونوا بذلك مثل أولئك الأساقفة الذين عهدوا بمهمة صيد الحيوانات الضارية إلى آخرين، وعملوا من خلال آخرين، في حين احتفظوا بغنيمتهم؟.

٤٩[31]: وإذا ما اعترض إنسان قائلاً:«هناك بعض الأساقفة الذين لايهملون العناية بواجباتهم الروحية من أجل الدفاع عن أمورهم الدنيوية»، يمكن للانسان أن يرد على هذا بالقول: إن هذا مما لايحتج به، فقد اعتاد الذين تولوا صياغة الشرائع والقوانين على الاهتمام بالأشياء التي تحدث باستمرار، وليس بشكل نادر، وصحيح أن بعض الأساقفة يهتمون أكثر من آخرين بهذه الانحرافات، والذي يهتم أكثر وأكثر، وبمواظبة أكثر يكرس نفسه للحروب وللمحاكمات، والذي هو ممدوح أكثر في أعين العيون الدنيوية، إنه هو الذي حكمته جنون بنظر الرب، ومثل هؤلاء الناس قد دفعوا وتأثروا بهذه الاعتبارات إلى حد أنهم نظروا إلى مجدهم الدنيوي، على أنه جائزتهم الكلية، وقد اقتنع آخرون بتقليدهم بطريقة تستحق اللوم، وفي الوقت نفسه يتابع العدو القديم للسلام بكل الاعتبارات، وعدو الأرواح، يتابع أعماله وجهوده مع جيشه المتحد، ويبذل كل جهد مستطاع لديه من أجل تدمير أرواح الناس.

وإذا كان الشيطان يستثير الأرواح السبعة التي هي أسوأ منه شخصياً،من أجل جذب وإفساد فرد واحد، كم سيجمع من الحشود أكثر، ومن قوى جيشه، من أجل إعاقة هدف هذه الرسالة، التي سوف تقاوم فرصة عظيمة لا مثيل لها من أجل دمار الأرواح؟ فهو يرى كل شيء في الحاضر، ويتذكر كل ما حدث من قبل، وبارع في علم

استخـــلاص المستقبل من الماضي ومـن الحاضر، ولســوف يكـون من الصعب جداً تجنب جيشه من الشياطين مع جميع إغراءاتهم، ومعيقاتهم، وإغـواءاتهم، لكن كما ذكـرنا من قبـل إن هذا لن يكون مستحيـلاً، لأن الشيطان نفسه الذي يعدّ والد الكذب، وجميع الكذابين هم أولاده،(مثلما الرب هو الصدق، والأشخـاص الصادقون، مادامـو كذلك هـم أولاده) يكذب في كثير من الطرق عندمـا يتـولى إقناع الأسـاقفـة بمناقشـة من الواضح أنها متناقضـة، ويخدعهم من خلال الكذب، مثلما خـدع والدنيا الأولين، ومن المؤكد أن هذه أزمة أخلاقية، ولهذا فإن النتيجة الحقيقة لا يمكن الوصول إليـها بوسائل التظاهر والمراءاة، ولقد ـجرت العادة بين القوانين العامـة أولاً، ثم عندما ينجم أي تناقض أو ظلم مضر في قضية خاصـة تحت مبادىء أو قـواعد قـانون جـرى تطبيقه بحـذافيره، جرت العـادة صياغـة قـانون خاص يتـولى تعديـل القانون العـام، ومثل هذا، عندمـا تظهـر تناقضـات أو شرور أخرى تتبع وتـأتي عادة من مـراعـاة شريعة أو قـانون عالمي، ففي العادة، والأمـر الأفضل، إتمام إعادة النظر الدقيقـة من قبل الذي لديـه السلطة لفعل ذلك، وبناء عليـه على المشرع الأعلى للقـوانين أن يقـرر أولاً مـا هـو مطلوب من أجل تقـدم الأرض المقدسة، وإنقاذ المصالح العليا العامة للكاثوليك.

٥٠[32]: وتحتاج الأوضـاع بين الأساقفة أيضـاً إلى الإصلاح حيث ينبغي في المقام الأول، أن يقوم الأساقفة بالاستحواذ على جميع الادارات والأعمال ذات الطبيعة العلمانية، وأن يضعوها في أيديهم، وينتزعوها من الرهبـان، ثم أن يأمـروا بإدارتها من قبل هيئة إداريين علمانيين، يمكنهم أن يتولوا اختيارها بناءً على نصيحة ثلاثة أو أربعة من رهبانهم، ممن هم حكماء ومجربين، ومتميـزين على البقيـة، وزيادة على هذا على الأسـاقفـة النظاميين، ومثلهم الأسـاقفة المدنيين — لأسبـاب قوية جـداً — عليهم فوراً وبدون تأخير، تشكيـل هيئة وصاية على شؤونهم الدنيـوية، وسبب

هذا، أنهم اعتادوا من وقت إلى آخر أن يشغلوا أنفسهم حول المحاكم، وبذلك ابتعدوا عن تأملاتهم الدينية.

٥١ : وإذا ما احتج كل من الأساقفة المدنيين والأساقفة النظاميين، أنه مضر لمصالحهم أن يقوموا بعملية التحويل هذه إلى هيئة وصاية دائمة، من الممكن إقناعهم بالقبول من قبل أباطرتهم، وملوكهم، وأمرائهم، حيث يمكن لهؤلاء النظر نحو الخلف ومن ثم أن يروا بأنهم قد صرفوا شطراً كبيراً من دخلهم، ومنتجاتهم، وموارد ممتلكاتهم — في كل سنة ـمن السنوات — في إدارة أراضيهم، وفي الدفاع عنها، وفي مباشرة أمور العدالة، وإصدار الأحكام، ولقد سمعت أن موارد ومنتجات مملكة نافار، تصل إلى مبلغ خمسين ألف ليرة تورية، وبصعوبة بالغة قد يصل إلى ملك الفرنسيين — لأنه يحكم من خلال الآخرين — مبلغ خمسين ألف سولدي Solidi، بعد حذف نفقاته، ونفقات الإدارة والدفاع.

٥٢ : وافترضوا أن واحداً من الناس قال للملوك وللأمراء:«إذا كان أي واحد منكم طلب سن مثل هذا القانون ضد الأساقفة، عليه الالتزام بهذا القانون نفسه، ولنفترض أنكم أول من قام بتحويل ممتلكاتهم الدنيوية، وبذلك ضربتم مثلاً جيداً للأساقفة، وإلاّ ـحافظوا على الصمت تجاه هذه القضية، وربما يمكن أن يجيب، إنه مثلما لا يستطيع الأساقفة الخلاص من مسؤولياتهم بالعهدة إلى آخرين بإدارة الأشياء الروحية، كذلك الأمر بالنسبة إلى الأمراء فيما يتعلق بالأشياء الدنيوية، لأنه مثلما أعطيت ثروات الكنائس إلى الأساقفة، وعهد إليهم بها، من أجل تقديم العون بكل وسيلة لتوجيه الأرواح وقيادتها، كذلك أعطيت الممتلكات الدنيوية إلى الأمراء، وعهد بها إليهم، من أجل أن يتمكنوا في كل مكان من حراسة السلام في بلدانهم، والدفاع عنها، ومقاومة كل شر مهما كان نوعه، وإصدار الأحكام، وممارسة العدالة بمكافأة المحسن

في كل مكان، ومعاقبة الشرير وتقويمه، والأمراء — لاسيما الذين لا يرون، ولا يعترفون بمن هو أعلى منهم على الأرض في المسائل الدنيوية لديهم سلطات قضائية، ولقد اعتادوا على التفوه بأحكام أشد قسوة في قضايا تتعلق بتقصير موظفيهم، وأعنف منها في قضية أي من الآخرين، فهم يرون عزل هؤلاء الموظفين من مناصبهم بسبب ذنوب صغيرة اقترفوها، وذلك وفقاً لطرائق الرهبان الذين هم في ظل الخوف من العزل،والعقوبات التي ينزلها المقومون والمحققون من خلال إجراءات قصيرة، ولايمكن إنزال مثل هذه العقوبات بشكل جاهز بالذين يشغلون مناصبهم بوساطة ولاية دائمة، ولهذا من الأحسن جعل مثل هذه التعيينات أكثر جاهزية للعقوبة، وأقل جدية في اقتراف الاعتداءات الجدية، مع تحريات أقل، ويمكن نقلهم باستمرار أكثر.

وحيثما كان الأساقفة متورطون، إنه أفضل بكثير أن يحكم عليهم من قبل آخرين بدلاً من أن يقضى عليهم من قبل أنفسهم، وأن يتولى ممارسة أعمالهم الادارية آخرون، فمن الممكن بيسر استخراج أدلة ضد شخص ما ممن يتولى ممتلكات لصالح الأسقف، من استخراجها من الأسقف مباشرة، وفي الحقيقة أصر عدد كبير ـمن الأساقفة في عدد كبير من القضايا على أنه لا يجوز معاقبتهم من قبل أمير دنيوي، من أجل جريمة، بسبب أعمالهم الشخصية(لابل إنهم يقولون بأنه لا يمكن معاقبتهم من قبل مثل هؤلاء الأمراء) بسبب أي عمل شخصي مهما كان نوعه.

٥٣ : فضلاً عما تقدم، إنه أسهل إبداع طريقة إجراءات قضائية ضد الآخرين الذين بين أيديهم ممتلكات لصالح الأساقفة، من القيام بذلك ضد الأساقفة أنفسهم، فالآخرون سوف يخافون خوفاً شديداً من النفقات، والغرامات، والعقوبات.

زيادة على هذا،سوف يبقى الأمراء بلا عمل، ما لم ينشغلوا بحكم

رعاياهم، وهكذا يمكننا أن نفترض أنهم غالباً ما سيمتلكون الوقت من أجل تبديده في الحروب وفي أعمال شهوانية مما يمارسه الناس الذين ليس لديهم أعمال، ومثل هذه الفرص ينبغي بالحري تجنبها، بدلاً من السعي من أجلها، واختيارها.

٥٤ [32] : وينبغي القيام بمحاولة استدعاء جميع الرهبان المتسكعين في الأماكن وفي الرعويات غير الرهبانية، للعودة إلى ديرهم، من أجل أن يمارسوا الحياة الرهبانية هناك، وخشية من أن تتناقص الصلوات في مثل هذه المؤسسات غير الرهبانية، ينبغي تعيين قسيس في كل واحدة من بيعهم، وينبغي أن يعيش هؤلاء القسس حياة متواضعة، كما عليهم تأدية الواجبات الدينية هناك كل يوم.

٥٥ — ما الذي ينبغي أن يصنع بممتلكات الرعويات غير الرهبانية، أو التي فيها مجرد ثلاثة رهبان أو أربعة فقط؟ فإذا كان الدير بحاجة إلى رعاية رهبانية كافية من أجل نقل الرهبان المقيمين إليه في بعض الأحيان، لأسباب محلية تتعلق بسوء السلوك في الدير، فلابأس من تأسيس دير رهباني مع مؤن قليلة جداً من أجل رهبانه، ووقتها سوف يخشى الرهبان من الإرسال إلى ها هنا، وسوف يسلكون ويتصرفون بشكل أحسن في ديرهم خوفاً من إرسالهم للعيش في دير، الدخل المعين له قليل جداً.

٥٦: لكن إذا كان الدير ليس بحاجة إلى مثل هذه الرعاية الرهبانية، وكان عدد رهبان الرعوية قليل جداً، من المتوجب تحويلهم إلى دير، ليتولوا خدمة الرب داخل الدير المغلق.

وينبغي أن يعين من أملاك الرعويات المحولة لصالح الديرة مبلغ يعادل النفقات الفعلية لعدد كبير معلوم من الرهبان كل سنة، وعلى هذا سوف تكون القداسات وتنفيذها بداية وممارسة ذات شكل أفضل،

ولسوف تتمكن الديرة من استرداد أولادها الذين كانوا يحومون من خارج الدير وإليه، فهم لن يعودوا بعد الآن مثقلين بالمسائل الدنيوية، ولسوف يمارس الرعاة والرؤساء كثيراً من العناية المفرطة من أجل الخسائر الروحية، وسوف يتغلبون على متاعب كثيرة جداً.

وبهذه الطريقة سوف تكون جميع ممتلكات دير ما بأيدي شخص واحد، أي بأيدي الذي من واجبه إدارتهم، وهو لن يخشى من تقويم أبنائه أو إرغامهم على مراعاة النظام بسبب أموال مخبأة في أكياس أموالهم عن طريق الممارسات المنحرفة التي تقدم ذكرها، فبوساطة مثل هذه الأموال كانوا قد اعتادوا على النضال، والعصيان والتمرد من أجل خلع رعاتهم، وإثارتهم، والتشكي ضدهم، فبهذه الطريقة يكونوا قد بددوا معظم الممتلكات الديرية، وأودعوها في أكياس أموالهم، وذهبوا بها، بعدما يكونوا قد كرسوها في خارج الدير، وغالباً ما يخسرونها مع أرواح كل من المودع والمتسلم، وقد حرضت هذه المخالفات الروحية الكبيرة، كاتب هذه الكلمات لأن يفكر، ولأن يكتب من أجل الصالح العام، مع أنه قد تسلم، ولربما سوف يتسلم في المستقبل أجوراً كبيرة وكثيرة من مثل هذه الممتلكات، إذا ما أعطاه صانع الحياة حياة مديدة.

٥٧[34] : وما الذي سوف يصنع بممتلكات مثل هذه الديرة التي بقيت بعد القيام بعمليات الحسم المقترحة؟ قد يجيب إنسان: إنه وفقاً لمبادىء الآباء المقدسين، ليس رجال الدين النظاميين وغير النظاميين أصحاب أملاك لاهوتية، لكنهم يتولون إدارتها فقط، ويمكنهم أن يتسلموا منها — بقرار من الكنيسة — الطعام، واللباس، والأشياء الأخرى الضرورية لقوام الحياة، والمتبقي هو ملك للفقراء، وهو من أجلهم، وكل الذي احتفظوا به عن طريق الاداريين هو إجحاف بحق الفقراء، أو أنه استخدام من أجل استعمالات غريبة، أو جرى الاحتفاظ به من أجل إيذاء المسيح والفقراء الذين هم رعاياه، وهذا كله سرقة،

واختلاس، ودنس.

وتبقى الحقيقة هي أن هؤلاء الرعاة البعيدون، وتقريباً جميع رجال الدين يسيئون استخدام ذلك المتبقي من الممتلكات العائدة إلى الكنيسة وإلى الديرة، وبناء عليه ينبغي أن يفقدوا طوال الوقت الامتيازات،أو — لنتكلم بصدق أكثر — فرصة إدارة ممتلكات من هذا النوع، وفقاً لرغباتهم، ولسوف يمنع هذا الكهنة العلمانيين من كنز مثل هذه الثروات الهائلة، من أجل إيذاء الفقراء الذين غالباً ما يرونهم قرب كنوزهم، غير أنهم لا يشفقون حتى على التعساء الذين ربما كانوا يهلكون من البرد والجوع.

ويتوجب أيضاً أن يطلب من المجمع المقدس أن يرسم بوجوب تحويل الجزء الأكبر من ممتلكات الأشخاص المتوفين، مع المتبقي من الممتلكات العائدة إلى الرعاة المتقدمي الذكر، تحويلها إلى المراكز الواسعة المتقدمة الذكر، من أجل الأرض المقدسة وما يتعلق بها، مما يساعد على إصلاح الكومنولث الكاثوليكي كله، وتوحيده حقاً، وهذا الهدف ربما سيكون الأسرع تطبيقاً وفق الطريقة الموضحة أدناه.

[35] : لقد جرت أعلاه مناقشة الاجراءات المطلوبة من أجل استرداد الأرض المقدسة والحفاظ عليها، لكن الاجراءات التي سوف تتطلب راحة سكان تلك البلاد لم يجر عرضها ولا بحثها.

ولنفترض أن الناس الذين سكنوا في تلك البلاد، عاشوا عيشة نكداء،(فقد كتب: لاتعطي الأمكنة الحصانة للناس، لكن الناس يعطون الحصانة إلى الأمكنة)، فكيف يمكن لمملكة ولسلطة مقترفي الشرور البقاء، ولنفترض أن الناس اجتمعوا هناك بشكل عملي من جميع أقطار العالم تقريباً، وشرعوا في ممارسة حياة شريرة، وعودوا أنفسهم على مثل هذا النمط من العيش؟ وعوضاً عن تغييره، ثبتوه بمثابة عادة، هي ذات

طبيعة أخرى، بما أنها تغير الطبيعة، ومن أجل تجنب هذا الشر، يبدو أنه مفيد جداً إلى كل إنسان أن يعثر على من يعترف له، قادر على الحديث بلغته الخاصة، وعالي الثقافة، أي أن يكون طبيباً للأرواح.

٥٨ : وطبيباً أيضاً من أجل داخل الجسد وخارجه كذلك، ونادراً ما يمكن العثور على أناس من هذا القبيل بيننا محنكين وبارعين في مثل هذه المسائل، وبسرعة ـ سوف يصبح هؤلاء أثرياء بيننا، ولن يعبروا إلى هناك بأعداد كافية، لأنه لا يوجد حتى ما يكفي من أجلنا.

٥٩ [36] : ولسوف يكون مفيداً بالنسبة للذين على رأس مملكة القدس أن يتوفر لديهم كثيراً من الكتاب الذين يعرفون اللغة العربية ويحسنون الكتابة بها، مع معرفة لغات العالم الأخرى، وقد قيل يوجد في البلدان الشرقية بعض الناس من الكاثوليك، هم ليسوا تحت طاعة الكنيسة الرومانية، وهم لا يتفقون معنا في بعض أركان الايمان التي تتمسك بها الكنيسة الرومانية، ويدعى أسقفهم الأعلى الذين هم جميعاً تحت طاعته، مثلما نحن تحت طاعة الأسقف الروماني، البطريرك، ويحكى أن لديه تحت طاعته تسعمائة أسقف، وإذا صح هذا، يكون تحت سلطانه أكثر مما لدى السيد البابا، وسوف يكون نافعاً لو أن هؤلاء الأساقفة، قاموا مع أتباعهم، وعدد كبير آخر ممن ابتعد عن الكنيسة الرومانية، ولم يعودوا مطيعين لها، بالسعي للاتحاد مع الكنيسة الرومانية، وتقديم الطاعة لها، والدخول في حظيرتها الإيمانية، ولسوف يكون هذا الأمل عبثاً، ما لم تمتلك الكنيسة الرومانية كثيراً من الرجال، يجيدون معرفة لغاتهم، فمن خلال هؤلاء يمكنها التواصل معهم، ولن تستطيع الأرض المقدسة وحكامها الحصول على منفعة كاملة من عونهم وتعاونهم ما لم يستحوذوا أيضاً على عدد كبير من الأشخاص المجيدين للغاتهم، أي مثلما قال أفلاطون حول هذا الموضوع:«أعطي الكلام لك، لأنه من خلاله يمكن التوصل بسرعة إلى تحقيق موقف واحد وإرادة

متبادلة».

ولقد قضى الرب وقرر أن يكون الحبر الروماني، نائبه، وخليفة بطرس على الأرض، هو الرأس للكنيسة المسكونية، وأن يطيعه الجميع، وذلك حسبما أعلن المتحدث باسم الآباء المقدسين وأوضح، وبناء عليه يتبع هذا أن الرب قد قضى، ومازال قاضياً، بأن يتم تأمين كل شيء ضروري ويفضي للوصول إلى هذه الغاية، وإلاّ يكون ما قضى به لم يتحقق تماماً، وإذا ما قلت العكس سوف تكون هرطقياً.

لكن كيف يمكن للحبر الروماني ـ جذب هؤلاء الناس الشرقيين، إلى الوحدة، وهم أيضاً لا يمكنهم، وكيف يمكنه إزالة الأخطاء من قلوبهم، ما لم يكن ذلك من خلال مترجمين عقلاء وأمناء، ينبغي أن يفهموا أولاً لغة الجانبين، وأن ينقلوا الرغبات المتبادلة للطرفين؟ ويتوجب على هؤلاء المترجمين أن يعرفوا كيف يمكنهم التجاوب بعقلانية كبيرة مع اعتراضات البرابرة حتى يمكن تدمير مواقفهم العدوانية الخاطئة، وينبغي أن يكونوا قادرين على إقناعهم بنقاشات وحجج لا تقبل الجدل، وبقوة جذب حقيقة الإيمان المسيحي.

وسوف تكون هناك إصلاحات أخرى كثيرة توصل إلى هذه الغاية، وهي سوف تظهر مما سيأتي، وبوساطة الخطة التالية — مع معونة الرب — سيكون من الممكن الوصول إلى هذه الأهداف أخيراً، لكن ليس على الفور.

وبما أن البابوات الرومان يتسلمون بالعادة مناصبهم السامية في سن متقدم، وهم منشغلون كثيراً بالعناية بالرعية الكبيرة التي عهد بها إليهم، ولا يمكنهم — بالإضافة لما لديهم من أعمال — تعلم اللغات مثل هؤلاء الناس، حتى لو أن البابوات كانوا يحسنون هذه اللغات، فإنهم لا يمكنهم الارتحال إلى هؤلاء الناس، كما لا يمكن لهؤلاء الناس القدوم

إلى عند البابا، هذا ولا يوجد ـتراجمة معدين من أجل هذه المهمة، كما لا يمكن تحصيلهم مقابل كل أموال الدنيا، ما لم يكن قد جرى إعدادهم من قبل، ولعلهم لن يكونوا قادرين على إظهار أية نتائج فعالة خلال حياة الذي بدأ بتنفيذ هذه الخطة، وهكذا فعل موسى، فهو لم ير أرض الميعاد، بل — كما كتب — عمل من أجل الاستيلاء عليها من الخارج، وعلى كل حال، ينبغي — على هذا — على الحبر الأعظم عدم إهمال وضع هذه الخطة المرحب بها موضع التنفيذ، ولو أن الرب سبب الإصابة بالأمراض، وبعث بالموت بسبب الذنوب، هل سيقوم أبو الرحمة — لسبب قوي — بإطالة حياة الذي باشر هذه الخطة، لأن أهدافها وغاياتها جديرة بالثناء، أو لم يكتب :«تعلم وكأنك ستعيش أبداً، وعش كأنك ستموت غداً».

٦٠[37] ويسعى الأب الأعلى قداسة، السيد بابا روما، كليمنت الخامس من أجل إقامة وحدة حقيقية للديانة المسيحية، الأمر الذي لايمكن تحقيقه على الفور بجهود الناس، ومن أجل الحصول على هذه المنافع، ومنافع أخرى لايمكن تعدادها، ولايمكن تصورها كلها مسبقاً وذكرها، ولعله يرضيه أن يأمر — بعون الرب — بزيادة المقترحات التالية، وإتمامها، أو تغييرها، وذلك حسبما يرى الأمر مناسباً هو مع مستشاريه العقلاء، الذين يعرفون تمام المعرفة أوضاع العالم.

ويتوجب تأسيس مدرستين أو أكثر من أجل الأولاد، والعدد نفسه للبنات، في كل مقاطعة، وذلك وفقاً للامكانيات المتوفرة والمتاحة من أجل هذا الهدف، وحسب حجم السكان، على ممتلكات ديرة أمثال الداوية والاسبتارية، فهناك ينبغي تأسيس هذه المدارس التي هي أفضل شيء مناسب لهذا الهدف، والطلاب الذين سيجري اختيارهم للتعلم هناك، ينبغي أن يكونوا في الرابعةِ أو الخامسة من أعمارهم، ويجري اختيارهم من قبل فلاسفة عقلاء، يمكنهم إدراك إمكاناتهم الطبيعية من

أجل التقـــدم في تعلم الفلسفـــة ودراستهـــا، وينبغـي أن يقبل في هذه المدارس أطفـال من أصل نبيل من الجنسين، إذا مـا وجـدوا، وبقدر مـا يمكن توفرهم، ويجري بعـدهم قبول الأطفـال الآخرين، وهؤلاء ينبغي تعليمهم بشكـل متـــواصل، وفـق المنهج المبين أدناه، وهو منهـج يمكن تغييره، وإتمامه، وتحسينـه من قبل رؤوس حكيمة، وسـوف يجري قبول هؤلاء الأطفال مع شرط أنهم لن يعودوا مطلقاً إلى أبويهم، ما لم يسددوا جميع النفقات التي أنفقت عليهم، وسيجري إرسال بعضهم من مدرسة إلى مدرسة، وأخيراً إلى الأرض المقـدسة، وإلى أراضي أخرى تـتولى الكنيسـة الرومـانية المقـدسـة تحديدها، من خـلال الذين جـرى تعيينهم للقيـام بهذا العمل، وسيجـري الانفاق على الطلبـة وعلى أسـاتذتهم من أملاك الديرة المذكـورة، ومن خلال مراكز الأمـوال الموقفة على الأرض المقـدسة، والتي ورد ذكـرها من قبل، ويجري تعيين الاداريين المشرفين على المراكز المالية، من قبل رؤساء الأسـاقـفة المحليين، وذلك بناء على نصيحـة الأسـاقفـة المسـاعـدين، ذوي الخبرة، فهـؤلاء سيرون من هو مناسب للعمل.

٦١ : وأول مـا ينبغي تعليمه إلى هؤلاء الأطفـال هو اللغة اللاتينيـة، حتى يتملكوها بشكـل جيـد، أو على الأقل حتى يحسنوها، وبعـد هذا ينبغي تدريب بعضهم على تعلم اللغة الاغريقية، تدريباً دقيقاً، وبعضهم على اللغة العـربية، وهكذا بالنسبـة إلى اللغات الأخـرى، لاسيما اللغات المستخدمة من قبل الشعـوب الكاثوليكية في الشرق، وسيكون بالامكان في النهـاية، بمسـاعدة هؤلاء الشـباب، الذين تدربوا على الحديث وعلى الكتابة بلغـات جميع الشعـوب، للكنيسة الرومانيـة، وللأمراء الكاثوليك أيضـاً، الاتصـــال من خـــلالهم بجميع النـاس، وجـــذبهم إلى الإيمان الكاثوليكي، وإلى الاتحاد مع رأسها.

وينبغي تدويـن أسماء جميع الشبـــاب الذين تـدربوا على النحـــو، مع

تفضيل للأصغر سناً، وإذا ما توفر بعض الذين تدربوا على المنطق، فذلك هو الأفضل، وينبغي اختيار بعض هؤلاء وتعليمهم بكل سرعة مبادىء الإيمان، والقداسات، والعهد القديم والعهد الجديد، وما أن يكملوا دورة الدراسة هذه حتى يمكن إرسالهم إلى الأرض المقدسة، من أجل التقدم في دراسة الكهنوت، وبذلك يتولون العناية بالأرواح، ومن بين صفوفهم يمكن تزويد الكنائس والناس فبعضهم ينبغي تدريبهم في ميدان الطب، وآخرون في كل من الجراحة الإنسانية والحيوانية، وبهم يمكن تقديم العون إلى الجيش، وإلى جميع السكان من كلا الجنسين.

[38] : وينبغي تعليم الفتيات الطب والجراحة، والمواضيع الضرورية التي تشكل مقدمة إلى هذا، ومع هذه التدريبات، ومعرفة الكتابة، سوف يجري تبني هذه الفتيات، اللائي من أصل نبيل، والأخريات اللائي هن متميزات بالبراعة، واللائي هن جميلات وجذابات بالوجه وبالقوام، تبنيهن كبنات أو حفيدات ـمن قبل الأمراء الكبار في بلدانهن، وفي الأرض المقدسة، وفي البلدان الأخرى المجاورة لها هناك، وبعد هذا يجري إلباسهن على حساب المراكز المالية المتقدمة الذكر، حتى يظهرن كأنهن بنات أمراء، وإثر هذا يمكن تزويجهن بشكل موائم من قبل الأمراء الكبار، ورجال الدين، والأعيان الأغنياء الآخرين،وعليهن أن يعدن ويتعهدن أنهن بعد أن يتزوجن من هؤلاء الرجال القياديين أو الأعيان الآخرين، سوف يقمن — أثناء حياتهن إذا كان ذلك ممكناً — بتسديد المبالغ التي أنفقت عليهن، إلى المراكز المالية المتقدمة الذكر، وإذا كن غير قادرات على فعل ذلك، ينبغي أن يوافقن على إعداد ترتيبات للتسديد، أو تسديد أي جزء ترك من دون دفع عند موتهن، وبهذه الوسيلة يمكن لهذه المراكز المالية أن تتزايد بدون حدود، ويبدو أنه سيكون أمراً رائعاً بالنسبة للأساقفة الشرقيين أن يتخذوا مثل هذه الزوجات، لأن من عادتهم الزواج، ولم يرتضوا مطلقاً بتقليد الرومان

وبقية رجال الدين الغربيين في التخلي عن امتيازاتهم بالزواج.

وزوجات قد امتلكن مثل هذه الثقافة، واستحوذن على أسس الإيمان مع الأسرار المقدسة وفقاً للاستخدامات الرومانية، لا شك أنهن سيتولين تعليم أولادهن وأزواجهن من أجل الارتباط بالايمان الروماني، وللاعتقاد والتضحية وفقاً لها، ولسوف يستخدمن المناقشات ويستغللن الفرص بشكل فعال أكثر ومؤثر من الخداعات التي مورست من قبل زوجات سليمان عليه، الذي مع أنه كان أحكم الرجال وأعقلهم، قدنه نحو عبادة الأوثان، وعلى هؤلاء النسوة، القيام — من خلال حبهن لأوطانهن الأصيلة — باتخاذ ما يلزم من ترتيبات من أجل زواج عدد كبير من الفتيات من هذه المدارس، من أولادهن، ومن شخصيات قيادية أخرى في البلاد، وبشكل خاص إلى كهنة سوف يترقون في المستقبل إلى مرتبة الأسقفية، وينبغي أن يكون لديهن شهامسة يتولون أعمال القداسات والغناء وفقاً للطقوس الرومانية، ولسوف يتولين بوساطة هذه الأساليب ويتمكن من جذب السكان في تلك المناطق إلى الطقوس الرومانية، وهن ـسوف يؤثرن بشكل ـخاص على النساء، اللائي سوف يتلقين مساعدتهن من خلال ممارسة الطبابة والجراحة، ولاسيما في أحوال وهنهن السرية واحتياجاتهن، ومن غير الممكن أن يحدث سوى — وقد تفوقن على غيرهن من العقائل، وكن أكثر نبلاً وثروة، وبتن معروفات في كل مكان ومشهورات بمعارفهن في الطب والجراحة، والعلوم التجريبية — أن يجذبن سيدات القوم اللائي بحاجة إلى مشورتهن، وينلن إعجابهن لبراعتهن وفوائدهن لهن، فيحببنهن لهذه الأسباب، ومن ثم يقمن بجذبهن، أو بالحري للاتصال بهن، ومن ثم سوف يكن مسرورات بالاتحاد معهن والتوافق على الأخذ بأركان الإيمان والقداسات.

٦٢ [39] : وأيضاً على أي بابا مستقبلي، عندما يحين الوقت وتتيسر

الأمـور، ويصير لديه أشخـاص يتقنون لغـات الكاثوليك الشرقيين، أن يقوم باستخدام عدة أفـراد من هؤلاء في مجلس الكرادلة ممن تتوفر فيهم الفـصاـحة والمـقدرة الأدبـية، فمن ـخلال هؤلاء يمكنه أن يكتب إلى الأساقفـة، وإلى الشخصيات القيادية الأخـرى في تلك البلاد، هذا ومن الممكن بسهولة الحصول على متدربين علمياً بالاغريقية، فعندما يتوفر في بعض المدارس البعيـدة، عـدد من التـلاميـذ المؤسسين بشكل جيـد بالاغـريقية واللاتينيـة، وقتهـا يتوجب اختيـار الذين يبـدون بينهم أنهم واعـدين أكثـر، ولديهم قـابليـة أكبر للتعلم من الآخـرين، اختيـارهم للدراسـة والسماع، وفيما بعـد لتعلم مـواضيع أخـرى، بحيث يتعلم بعضهم القانون الكنسي والقانون المدني، وآخـرون للفلك مع عدة علوم في ميـادين الرياضيـات والطبيعيـات، وآخـرون بالطبـابة، وآخـرون باللاهـوت، وينبغي فصل المدارس المكرسـة لهذه العلـوم إحـداها عن الأخـرى، خشية أن يعقن بعضهن بعضـاً من خـلال التحاسـد، أو من خلال أمور أخرى، لأن الفيلسوف قـد قال في كتاب الخطابة:«الفلاسفة متحاسـدون بشكل طبيعي»، ووقتها إذا مـا أراد البابا أن يرسـل واحداً من النواب، في مهمة صعبة إلى بلاد الإغـريق — وأعتقد أنه ينبغي تبني السياسة نفسها في ـحالة اللغات الأخرى والبلدان — عليه أن يبعث في الوقت نفسه مع النائب اثنين أو عدد أكبر من الأشخاص البارعين جداً في كل فرع من فروع المعارف، فهؤلاء سيتفوقون على خبراء تلك البلاد في المناقشـات، وفي تقديم النصـائح، والمبـاحثات، وفي كل سبيل آخـر، وبذلـك لن يكون هناك مـن يستطيع أن يتصـدى لحكمـة الكنيسـة الرومانية، وسوف يقـوم الذين يعتمدون في الشرق على المنطق، بامتداح حكمـة الرومـان والخوف منهـا، مثلما أطرت ملكة الشرق(سبأ) حكمـة سليمان.

٦٣ [40] : وإحدى نتـائج تأسيس مدارس من هـذا النوع، وإرسال

أشخاص متعلمين من كلا الجنسين، وإرسالهم إلى الشرق، سوف توفر إرسال السلع الثمينة، الوافرة في تلك المناطق، لكن النادرة بيننا وذات القيمة العظيمة، ولسوف تشحن إلينا إلى الغرب، بكميات كافية، وبأسعار معقولة، وسيكون هذا فور غدو العالم ـكاثوليكياً، وهناك كثير من المنتجات التي تعدّ نادرة وثمينة، لعدم توفرها لدينا، هي وافرة جداً في أماكن أخرى، وينظر إليها هناك على أنها قليلة القيمة.

وإذا ما سعى الانسان إلى معرفة سبب هذه الحقيقة، سيجد الجواب هو نفسه الذي ـقدمه الفيلسوف حول ـما يتعلق بأسباب وضع العناصر الأربعة بقوله:«لم يقض الرب المبارك والممجد، الذي خلق للانسان كل ما هو موجود في العالم السفلي، بأي شيء عبثاً، وهكذا تولى توزيع هباته في هذا العالم».

وإذا ما أراد إنسان، إرضاءً لرعونته، وتنفيذاً لإرادته الشرهة، أن يمتلك في هذا العالم كل شيء أراده، سوف يفضل البقاء هناك بالأسفل، بدلاً من التحليق نحو وطنه في الأعالي، لأن رغبته ستكون مثبتة على المركب الأكثر انخفاضاً، وهكذا سوف يمارس الانسان من هذا القبيل حياة مضطربة، لأنه لم يجر توجيهه نحو الخالق، أولم يوضح بوثيوس Boethius هذا جيداً عندما قال:«إن الذي ينبغي أن يعترف بوجوده لوحده في العالم هو الذي يبقي على النظام ويحافظ على الطبيعة»؟ وبناء عليه قال بهذا الصدد: شرار الناس غير موجودين بالفعل، والذنب هو لا شيء، ومن هنا قرر أحكم الرهبان توماس الأكويني — كما سمعته يقول في إحدى مواعظه:«كل من يقترف ذنباً هو عبد للذنب، وكل عبد هو أدنى من سيده، وبما أن كل ذنب هو لا شيء، فإن كل مذنب أقل من لا شيء»، وعرض الفيلسوف هذا كمايلي بقوله:«العالم هو وحدة بسبب توحد منظمه، مثله في ذلك مثل جيش»، فواجب الذي يدمج جيشاً في وحدة أن يفعل ذلك من خلال وحدة الهدف الذي يسعى من

أجله ويناضل، وهو النصر، وهذا من حيث المبدأ يقع على كاهل قائد الجيش ورئيسه، ومثل هذا إن واجب جعل العالم وحدة، يقع بشكل رئيسي على كاهل ملكه.

[41] : وعلى كل حال، إنني أشك أن يكون هناك رجل ذي عقل سليم يمكن أن يعتقد في هذه الأيام، وفي هذا الجيل، يمكن توفر ملك دنيوي واحد لكل العالم، يمكنه أن يحكم كل شيء، ويمكن للجميع أن يطيعوه على أنه رئيسهم الأعلى، وإذا ما توفر ميل نحو هذا الاتجاه، سوف تكون هناك حروب، وثورات، وتمزقات بدون نهاية، ولن يكون هناك أحد قادر على قمع هذه الاضطرابات بسبب كثرة الناس، ومسافات المناطق المتورطة، والفوارق المحلية، وميل الناس الطبيعي نحو الصراع، ومع أنه كان هناك أشخاص أطلق عليهم اسم ملوك الدنيا، أنا لا أعتقد أنه وجد أي إنسان قد أطاعه الناس جميعاً منذ أن شغل بنو البشر الأرض وسكنوها، وكما أعتقد، ما من إنسان قرأ أن الغربيين على هذا الجانب من بلاد الاغريق قد كانوا رعاياً للملك الاسكندر، أو خضعوا لسلطانه، لكن من المعقول بالنسبة للمسائل الروحية، يمكن أن يوجد — لابل ينبغي أن يوجد — أمير واحد، وملك، يمكنه أن يسوس بمشاعر روحية ممانعة سلطوية في الشرق، وفي الغرب ،وفي الجنوب، وفي الشمال، ولايمكنني أن أرى كيف لهذا أن يحدث، مالم تتوفر الاعدادات من أجل تعلم اللغات، إما وفق الطريقة التي عرضت أعلاه، أو وفق طريقة ما أفضل، حتى الرب القدير نفسه الذي قد ضرب لنا مثلاً عندما علم بالأعداد وبالأمثلة وأنواع أخرى من الأحاجي، قد أعطى في موعظته لحواريه ورسله، معرفته بجميع اللغات وبجميع أنواع الحكمة، لأن هؤلاء كانوا سيتولون التبشير بالانجيل إلى جميع الناس، وقد قال لهم:«عندما ستظهرون أمام الملوك والحكام لا تهتموا كيف أو بما تتكلمون، لأنكم تعطون في تلك الساعة

ما تتكلمون به»[متى :١٠ / ١٨ — ٢٠ ، باختزال].

٦٤ : لم يوجد، ولا يوجد، ولن يوجد، أي واحد إلى جانبه، يمكنه أن يعطي مثل هذه الأعطيات العظيمة، ومثل هذه الفضائل العظيمة، فله وحده حفظت قدرة صنع المعجزات، وبالنسبة له مامن شيء مستحيل، يمكن أن يتماشى مع طبيعة الأشياء، وطبعاً هو لا يمكنه صنع أي شيء يكون في الوقت نفسه موجوداً وغير موجود، لكن وجود الافتراضين المتعارضين في الوقت نفسه أمر صحيح، وكذلك تعارضهما بالنسبة إلى الحقيقة، وفي الحقيقة، لم يوجد قط مخلوق كان بإمكان ذاته صنع أقل المعجزات، لكن الرب القدير، أعطى بطريقة إعجازية المبشرين الذين اختارهم ليرسلهم إلى جميع أرجاء العالم، معرفة جميع اللغات والقدرة على التحدث بها، كما لو أنهم كانوا من السكان المحليين لعدة مناطق، وفعل هذا من أجل أن يجعل الناس جميعاً يؤمنون، ويتعمدون، ومن ثم ليكونوا رعايا لبطرس، أمير الرسل، جاعلاً من جميع المؤمنين كومنويلساً واحداً.

٦٥ : لايمكن لخليفة بطرس، نائب المسيح، والذي دون سواه المقلد الوحيد له، أن يمنح المعرفة بشكل مفاجيء وإعجازي، فلماذا إذن لا يقوم بإتخاذ إجراءات للتزويد بالمعارف اللغوية والقدرة على التحدث في أي منها، بعدما أطلع على وسائل لجعل الطلاب يعرفون، ويفهمون، ويمكنهم التكلم بجميع اللغات، حتى يجري إرسالهم إلى الخارج للقيام بأعمال التبشير؟ وهذه الوسائل لن تكون متوفرة له فقط، لا بل من السهل الحصول عليها، وقليلة التكاليف، وفيما يتعلق به، قليلة المتاعب، وسيقدم هؤلاء إلى الناس الذين سيبشرون بينهم منافع أخرى، وفوائد ليس فقط إلى أرواحهم بل أيضاً إلى أجسادهم، التي سوف تنتفع بشكل خاص من الطبابة ومن الجراحة، ولسوف ينال مؤسس ومنظم هذا العون وهذه الخدمة أعظم جائزة أبدية وسيتمتع بها، حتى وإن لم يكمل

— أو لم يصل إلى — هدفه المنوي بقيام اتحاد كامل للمسيحيين بالايمان وبالطاعة، ولسوف تبارك الرحمة السماوية بداية هذا العمل ومتابعته، وإكماله.

٦٦ : ومن أجل أن يحقق مصمموا هذا المركز الموصوف به أهدافهم، ينبغي إصدار أمر بوجوب تلاوة مزمور كل يوم في كل واحدة من مدارس المركز على انفراد لصالحهم، شرط أن تكون تلاوة معتدلة، ومثل هذا قداس للأحياء وآخر للأموات، وبذلك يأمل كل واحد من المؤسسين ومن الموصين من الأحياء ومن الأموات بنيل غفران يومي.

٦٧ [42] : ولسوف تكون المنافع الاقتصادية الناتجة عن المركز المقترح ذات فوائد عظيمة لجماعات سكان تلك البلدان الشرقية، فهم سوف يصدرون منتجاتهم، وبذلك ـسوف يربحون من ذلك أكثر بكثير مما لو كرست هذه البضائع بشكل تقوي إلى الفقراء، الذين إن وجدوا سوف يكونوا نادرين، آخذين بالتقدير من جانب أول العدد الهائل للمعدمين، ومن جانب آخر ندرة التوابل والمنتجات الشرقية الأخرى التي نحتاج إليها، وسوف يجري تأمين هذه السلع إلى جميع الكاثوليك بأسعار معتدلة، ولسوف يتم صنع هذا دون مضايقة أي إنسان وإيذائه بشكل فعال، لأن كثيراً من المخاطر المعروفة والمصاعب في البر وفي البحر سوف تتوقف، فبعد إتمام سحق العدو في الأرض المقدسة، والقضاء عليه بنعمة من الرب، يمكن لحاكم تلك البلاد، أن يأمر — وأن يشرف على التنفيذ — بشحن جميع منتجات تلك البلاد بمراكبها إلى هذا الجانب من البحر، وبذلك تصبح التوابل وبقية المنتجات متوفرة، وبالمقابل من الممكن نقل منتجاتنا إلى هناك، ويمكنه أيضاً تنظيم أسعار الشراء وأجور النقل، وبذلك يكون بالإمكان تقدير أسعار عدد كبير من السلع، وكذلك الحد من زيادة الأسعار اليومية مع جشع التجار.

٦٨ : ويمكن للسيد البابا، والكرادلة، ورجال الدين الكبار، وكذلك الملوك والأمراء الذين ستوضع المدارس في مناطقهم، وأيضاً رعاة الديرة الذين من ممتلكاتهم سوف ينفق جزئياً على هذه المدارس، يمكنهم من خلال طلبة هذا المركز تحصيل ليس التوابل فقط، بل كل شيء نادر وثمين يرغبون بالحصول عليه من الشرق، وبالنظر لما تقدموا به من قبل من كرم وإحسان، سوف يجري تزويدهم بهذه المنتجات بدون تكاليف تقريباً.

[43] : لماذا علي أن أكتب حول منافع هذا المركز، إذا كان مؤسسوه وطلابه يرغبون بالانتفاع منه ومن امتيازاته في توزيع المنتجات، فمن غير الممكن أن يتصور إنسان حي لوحده جميع منافعه أو أن يكتب عن ذلك، مثلما قال الفيلسوف:«لا تتكاثر الشياطين بشكل طبيعي، بل بطرائق غير طبيعية».

٦٩ : في الوقت الذي يتبع فيه بعضهم سياسة إنزال الأذى بالمسلمين، بشن الحرب ضدهم، والاستيلاء على أراضيهم، وسلب ونهب ممتلكاتهم الأخرى، لعل الفتيات المدربات في المدارس المقترحة، يمكن أن يعطين بمثابة زوجات إلى القادة المسلمين، إنما مع احتفاظهن بإيمانهن، خشية من مشاركتهن أزواجهن في الكفر، وبجهودهن — مع عون الرب — وبتبشير الرسل — وبذلك يمكن أن ينلن مساعدة من الكاثوليك، لأنهن لا يمكن لهن الاعتماد على المسلمين — يمكن أن يتمكن من إقناع أزواجهن ، وجرهم إلى الإيمان الكاثوليكي، وهكذا قليلاً قليلاً، من الممكن جعل عقيدتنا معروفة بينهم، ولسوف تناضل زوجاتهن بحماس شديد من أجل هذا، لأن لدى كل واحد منهم كثيراً من الزوجات، فجميع الأثرياء وذوي السلطان بينهم يمارسون حياة شهوانية، هي لغير صالح زوجاتهم، اللائي ترغب كل واحدة منهن أن يكون لها زوج خاص بها(وهذا مالا يجب أن نندهش منه) بدلاً من

مشاركة سبعة زوجات أو أكثر في زوج واحد، ولهذا السبب — حسبما سمعت مراراً من التجار الذين يترددون على بلادهم — من الممكن بسهولة التأثير بقوة على نساء تلك الطائفة، وجذبهن نحو طرائق الحياة لدينا، من أجل أن يكون لكل رجل زوجة واحدة.

٧٠ [44] : عندما يتحقق إقامة سلام عالمي ووئام بين جميع الكاثوليك الخاضعين للكنيسة الرومانية، وفق الطريقة المقترحة، وعندما تتناقص الحروب والمخاصمات بالوسائل التي سيأتي شرحها، وكذلك من خلال التأثير الذي قضى به موجد الأشياء كلها، سوف يكون إثر هذا الكاثوليك في أوضاع أكثر قدرة فيها على إخضاع الأمم المختلفة، فهم لن يكونوا بعد الآن قادرين على شن الحرب أحدهم على الآخر، ولن يخشوا من إمكانية مثل هذه الحروب، بسبب العقوبات القاسية المعدّة لهم، والمعني بذلك: فقدانهم لأراضي أسرتهم مع ممتلكاتهم الأخرى، ولهذا السبب، من المحتمل كثيراً، أن يقوم الأمراء المتحمسون، على الفور، بدمج قواهم وتوحيدها ضد الكفار، أو على الأقل إرسال جيوش لا تحصى من المحاربين من جميع الاتجاهات، حتى تبقى بمثابة حاميات دائمة في الأراضي التي سوف يتم الاستيلاء عليها، وبهذه الطريقة سيزداد كومنولث الكاثوليك الخاضعين للكنيسة الرومانية زيادة عظيمة جداً، في وقت قصير،وذلك في مواجهة جميع الآخرين الذين يفتقرون إلى تنظيمات اتحادية، وإحسان نحو الرب، ونحو جيرانهم.

ولا شك أن الاهتمام بدراسة الفلسفة، والحض عليها بقوة في جميع أرجاء كومنولثنا، من الممكن أن يسهم كثيراً في الوصول إلى هذه الغاية، فلقد شايعت زهرة الروح العسكرية التعلم والتمذهب من مملكة إلى مملكة: من الهنود إلى الآشوريين، ومن الآشوريين إلى الإغريق، ومن الإغريق إلى الرومان، ومن الرومان إلى شعوب شمالي الألب (Cismontane)وذلك حسبما نقرأ في تواريخ الأقدمين، وإذا ما قامت الطائفة

الكاثوليكيـة بتكويـن كـومنـولث واحـد في جميع الممالك والأمـاكن، وشجعت الدراسـة في جميع الأمـاكن الموائمـة، ينبغي أن تكون النتيجـة امتـلاك هذا الكومنولث خـلال مـدة من الزمن السلطة على العـالم كله، وستتعـاظـم هذه السلطة وستـزداد صـلابة مع مـرور السنوات، ومن المؤمل — لا بل من الممكن التحقيق — أن هذا سيتبلور في ظل المملكة الروحية وطاعتها وليس في ظل المملكة الدنيوية.

٧١ [45] : من الممكن — لا بل من المتـوجب — أن يحدث طلاب هذه المؤسسات تقـدماً كبيراً أكثر من الآخـرين، وهذا واضح من حقيقة أن أساتذة المركـز البارعين والمجـربين، سوف يبحثـون عن تبني برنامج متسـارع بسماته، وبطرائقه، وبدراسـاته، وبوسائل الحصـول على الخبرة، ويتـوجب اختيـار صبيـان في الرابعـة، أو الخامسـة، أو السـادسـة من أعمارهم، أو أسن مـن ذلك، تكون رؤوسهم حسنة الشكـل والتكوين، وهم أهل للتـقدم، على شرط أن يكونوا ممن لن يـعادوا إلى آبائهم، إلاّ بإذن من المركـز، ويتوجب أن يتلقى مـائـة، أو أكثر من هؤلاء الصبيـان تدريباتهم في مكان واحد، مجهز بشكل جيد من أجل هذه الغاية

وأن يدرسوا أولاً ويتـدربون على ترتيل المزامير، وأن يقومـوا فيما بعد في الجزء الثـالث من النهـار، بالغناء وبأعمال قـريبـة من ذلك ومشـابهة، ويتوجب تعليمهم في ساعات أخرى من النهار مبادىء النحو اللاتيني(الدوناتيـزية Donatus) وأن يكون ذلك وفق الطـرائق والعـادات الرومانية، وأن يتعلمـوا أيضاً الفروع الأخرى من فـروع النحو، وعندما يستمع أحـد الصبيان كتاب كـاتو Cato وكتب نصوص صغيرة أخـرى، عليـه أن يحضر أربعـة دروس طويلة في اليـوم، أو إنهاء هذه الدروس، وعليه أن يصغي إلى بعض النـصوص الرئيسية، وبعد هذا إلى واحـد آخر يقـوم بإعـادتها، وعليه أن يردد وراء المعيـد، مثلما يفعل إزاء النصـوص التي يتقنهـا، والـذي ينبغي أن يقـرأ له أولاً تصريف الأسماء

وأحكام اللهجات، وبعد هذا عليه أن يعيد تلاوة كل ما يطلب منه، وأن يفعل ذلك على الفور، وفقط في المساء يقوم بكتابة مواضيع إنشاء باللاتينية.

وعندما يبدأ الصبيان في إحراز قليلاً من التقدم في هذا، عليهم أن يتكلموا دوماً باللاتينية، فيعوّدوا أنفسهم على هذا في جميع الأوقات والأماكن، وبعد الانتهاء من النصوص الصغيرة، يتوجب عليهم سماع التوراة في أشكال أولية، وليكن ذلك ثلاث مرات أو أربع مرات في اليوم الواحد، وأن يكتبوا مواضيع إنشائهم من مؤرخيه ومن شعرائه على التوالي، بما أنهم سيكتبون مجرد تدريبات، وعندما تحل الأيام المعدة للإعراب، عليهم أن يعربوا أولاً [أغاني] Gradualما بعد الـ Bre-viary ، إنما ليس الـ Missal، باستثناء ما هو موجود في التوراة، وبعد الانتهاء من الـ Breviary عليهم إعراب الحكايات الذهبية للقديسين[ليعقوب دي فورين Voragine المتوفى حوالي سنة ١٢٩٨]، وبعض الأشعار القصيرة، المنتخبة من حكايات الشعراء، وعليهم كتابة مقالات قائمة على هذه الحكايات، ويظل أفضل نقلها إلى اللاتينية مرة ثانية، وبهذا سوف يكونوا أكثر اعتياداً عليهم في المستقبل، أكثر من التمارين المعتادة التي هي بلا فائدة، وبهذا لن يكونوا قد ضيعوا وقتاً حتى الآن، ولسوف تكون المقالات التي كتبوها ذات فوائد دائمة بالنسبة لهم، وبعدما يكونوا قد فرغوا من سماع التوراة كلها، عليهم أن يعيدوا اثنتي عشرة صفحة منه كل يوم، ومثل هذا حكايات القديسين، وبالنسبة للشعر عليهم نظم بعض الأبيات البسيطة، لكن ليكن ذلك لوقت قصير، وعندما يأتي الوقت أخيراً، ويصبحوا جاهزين لسماع المنطق يتوجب إسماعهم الأعمال الشعرية خلال ثلاثة أشهر الصيف، وليكن ذلك أن يستمعوا في اليوم الأول كاتو Cato، وفي اليوم الثاني ثيودولوس Theodulus ، وفي الأيام الثلاثة التالية توبياس

Tobias ، وهكذا بالنسبة للشعراء الآخرين، وعليهم الاستماع لستة دروس في كل يوم من أستاذين، وينبغي عليهم فهم هذه الأشعار من قبل أنفسهم، كلهم تقريباً، وذلك بسبب أن القصص والشروح سوف تقدم بلغة بسيطة، لأن الذي هو مطلوب من هذه الكتب تراكيب الجمل فقط، وأشكال من المعرفة صالحة لأي شاب، عندما يبدأ بصنع بعض التقدم، ويمكنه أن يقرأهم ويفهمهم، ولديه الجاهزية لتقبلهم كأشعار رومانسية، وإذا ما أبدى بعض الشباب الاستعداد للتقدم، عليهم العمل في هذا المجال ليلاً ونهاراً لمدة سنة كاملة، إنما باستثناء الأوقات المخصصة للراحة، ولسوف يتمكن معظمهم، بعون الرب، من إكمال هذه التدريبات في جميع فروع المعرفة قبل وصولهم إلى سن العاشرة، أو على الأكثر سن الحادية عشر، وآخرون في سن الثانية عشر على الأكثر، وفي أثناء دراسة الموضوعات الموصوفة آنفاً، على الصبيان سماع[رسالة] دكتورنيل Doctrinale [النحوية]، وليكن ذلك في أوقات يختارها أساتذتهم، وليركزوا بشكل خاص على ما يتعلق بالضمائر والأفعال، وآخر ما عليهم تعلمه هو [رسالة] Graecismus [النحوية حول التفاعيل السداسية]، وليقتصر ذلك على فهم معانيها الأدبية، لكن من دون الإصرار على أية جوانب أخرى.

٧٢ [46] : ولدى إكمال الطلبة لهذه الدراسات، ينبغي تحويلهم إلى مدرسة أخرى، حيث يبدأون دورات تعلم المنطق، وعليهم أن يشرعوا في الوقت نفسه بتعلم الإغريقية أو العربية، أو أي لغة أخرى، حسبما يوجههم المؤسس الجديد للمدرسة ويختار لهم، ولدى دراستهم لأي لغة جديدة، عليهم أن يتعلموا أولاً أشكال كلماتها، مع بنائها النحوي.

أما فيما يتعلق بالمنطق، فعليهم أن يتعلموا أولاً الرسائل المعيارية، والشروح الموجزة لها، وينبغي اتخاذ احتياط أن يتولى شخص بارع بهذا

الفن اختصارهم لهم وايجازهم، وأن يوضح المسألة الإشكالية التي طرحها الفيلسوف في كل واحد من كتبه حول المنطق، وأن يكون هذا الايضاح محكماً، وبذلك لن تحتاج الرسائل بعد سماعها خلال دورة الدراسة مرتين أو ثلاثة، إلى شرح مكتوب، وبعد هذا يتوجب أن يستمعوا إلى الكتب مرة أخرى على شكل محاضرات منتظمة، وينبغي إنجاز هذا كله مع بلوغهم الرابعة عشرة من العمر .

وليشرعوا بعد هذا بتعلم العلوم الطبيعية، وبسبب إسهاب هذا الموضوع وعمقه يستحسن اعتماد كتاب«الطبيعيات للراهب ألبيرتوس[ماغنوس Magnus]، الذي يحتوي فعلياً جميع ما فكر به الفلاسفة مع إضافات كثيرة، واستطرادات، وينبغي اختصار هذا الكتاب بقدر الامكان، إنما شريطة أن يكون هذا الاختصار واضحاً بقدر يستطيع فيه الانسان المهتم أن يفهم هذا المختصر، من دون العودة إلى النص الكامل، وعلى الشباب الاستماع لهذا المختصر كاملاً خلال العام الأول على شكل أربعة محاضرات في اليوم، من دون أسئلة، ثم يستمعون إليه مرة ثانية مع أسئلة، ثم يقومون بعد ذلك بسماع الكتب حسبما جرت العادة بقراءتهم في المدارس.

ولسوف يكون أيضاً مفيداً لهم أن يتوفر لديهم أسئلة مختارة من كتابات الراهب توماس[أوف كانتمبري Cantimpre ، نشط ما بين ١٢٢٨ — ١٢٤٤] وسيغر [دي برابنت، ت ١٢٨٣] وباحثين آخرين، وينبغي أن تدمج كتاباتهم كلها في مصنف واحد، حول المسائل الأساسية: أشكالها، وتكوينها، وعمومياتها، وفسادها، وحول جميع مشاعرها ووظائفها، وحول مزايا الأرواح، وأعمالها وطبيعتها، وحول عناصر الطبيعة وأعمالها، وحول الأجسام السماوية، وطبيعتها، وتأثيراتها، وحركتها، وبعض المواد وفق هذا التسلسل واستيعابها بسبب ترتيبها، ولسوف يكون من الصعب ـجداً ترتيب المادة وـفق هذه الطريق، علماً

بأن ذلك سوف يكون مفيداً جداً على الطريق إلى التعلم، هذا التعلم الذي من الممكن تحصيله بسهولة، وفي وقت قصير، بهذه الوسائل، وما أن يحصل الانسان على هذا التعلم، سوف يتمكن من الاحتفاظ به، وتذكره بعقله متى شاء.

٧٣: وعندما تكتمل هذه الدراسات، عليهم الشروع بسماع محاضرات في علوم القيم والأخلاق، والمقصود بهذا : القيم (المونوستيكا Mono-stica)، والأخلاق، والخطابة، والسياسة، وتكون هذه المحاضرات مثلما تقدم فيها خلاصات واختصارات، فلقد رأيت الأخلاق في عشرة كتب اختصرها المعلم هيرمان الألماني(كان نشطاً سنة ١٢٥٠)، وبعد هذا العرض المبدئي، سوف يستمعون إلى نصوص الكتب التي تشكلت من قبل من محاضرات، مع أسئلة أعدت مثلما حدث من قبل بالنسبة للأسئلة الطبيعية، وذلك مع قليل من المناظرات قد كتبت من كل واحد من العلوم، لأن الحشد من المحاضرات قد يفضي إلى الفوضى في الثقافة وفي إصدار الأحكام الصحيحة، أكثر مما يقود إلى المعرفة.

٧٤ : وبعد إكمالهم لهذه الدراسات خلال عام واحد، عليهم الشروع بالاستماع إلى محاضرات بنصوص التوراة المشروحة، مرتين في اليوم، وذلك مع كتاب الـ Summae في الصباح، مع أسئلة متجاوزة الأسئلة المتعلقة بالطبيعيات، ويتبع الذين سوف يصبحون مبشرين هذه الدورة التعليمية لمدة عامين أو ثلاثة أعوام، وإذا ما قام بعضهم بذلك، سيكون كافياً للآخرين اتباع هذه الدورة مرة واحدة لمدة سنة، أو حتى لمدة أقصر، وبعد هذا يتوجب على بعض الأفراد استماع محاضرات بالقانون لمدة عامين، مما يمكنهم من سماع المجلدات الخمسة كاملة، وعليهم بعد هذا استماع نص الـ Decretum والـ Decretals الـ Decretum مرتين في اليوم، والـ Decretals مرة واحدة، ويمكن للذين خططوا ليعيشوا بمثابة رجال دين في بيت الرب، التخلي

عن دراسة القوانين، لكن لا يجوز لهم التخلي عن الـ Decretum والـ Decretals، ويمكن للذين خططوا لحياة مدنية التخلي عن دراسة الطبيعيات، وأن يهتموا أكثر بالقيم، وبالقانون المدني والقانون الكنسي، وعلى كل من أراد الاستماع إلى محاضرات بالطب، أن يفعل ذلك بعد الفراغ من محاضرات الطبيعيات، مع أنه سيكون مفيداً أن يتجاهلوا التوراة والـ Summae، بما أن هذين الكتابين يتعاملان مع المبادىء التي هي أسس جميع العلوم، وحسبما قال الفيلسوف:«جميع العلوم متداخلة»، ولسوف يكون مفيداً جداً أن تكون عارفاً بمبادىء جميع فروع المعرفة، أو على الأقل أن لا تكون جاهلاً بها جهلاً تاماً، علماً بأنه سيكون مفيداً جداً لو أنهم حملوا الكتب معهم، وعلينا أن نفترض أن بعض المستمعين سوف تكون الكتب معهم، وأن بعض هؤلاء الذين ليست لديهم الكتب سوف يحصلون عليها، زيادة على هذا، لأنهم امتلكوا أساساً ممتازاً في العلوم، سوف يتقدمون كثيراً من خلال الكتب التي تعلموها اعتماداً على أنفسهم، بعد تركهم المدرسة.

٧٦ : ولسوف يكون مفيداً بالنسبة للطلاب الذين نالوا تدريباً قصيراً، والذين سوف يكونون قضاة وحكاماً لمدن كبيرة ولشعوب، أن يكون معهم قوانينهم في مجلد واحد، كتبت فيه القوانين بشكل واضح ومختصر، وبوضوح لمرة واحدة من دون تكرار للقضايا المتشابهة، ويحتوون على أقوال باتة، من الممكن قراءتها وفهمها من دون شرح أو تعليق، ومن الممكن صنع هذا، بوضع جميع القوانين التي هي من نوع واحد تحت عنوان واحد، بطريقة يتمكن فيها أفراد ذوي ثقافة جيدة من فهمهم وتملكهم من دون أستاذ، وسيكون مفيداً امتلاك الـ De-cretum والـ Decretals بشكل مختصر، بحيث يتمكن الطلاب الذين لديهم وقت قصير من تناولهم وفهمهم بشكل مختصر، بعيداً عن القو انين المتداخلة والمضطربة، والقوانين العامة والقوانين الخاصة حول

أي موضوع من المواضيع مهما كان، وسوف يتمكنون بمساعدة هذه المختصرات، مضاف إليها الخبرة، من حكم أنفسهم والآخرين بمثابةمواطنين جيدين بتوافق مع القوى العامة والخاصة المثبتة بوساطة العادات، ومع الإفادة من هذه الخبرة، يمكنهم متابعة دراساتهم حتى الاكتمال وذلك بعد حصولهم على كتب القانون.

ولسوف تكون هذه المختصرات والمختارات بمثابة كناشات للطلاب الفقراء، وللذين هم بالعادة منشغلين بفروع المعارف الأخرى، مثل الفلسفة واللاهوت، ممن لا يمكنهم تكريس الوقت المعتاد والضروري من أجل تملك مواد مجلدات كبيرة، فحياة الانسان حقبة قصيرة، ونادراً ما تسمح له مشاغله بالمسائل الروحية والمسائل الدنيوية بإكمال دراسته ومعارفه حول التفاصيل الكثيرة جداً المتعلقة بالقانون المدني والقانون الكنسي، وذلك بالاضافة إلى الفلسفة واللاهوت، ومع هذا يمكن لأشخاص تحقيق إكمال ما يصبون إليه من معرفة، بمتابعة دراساتهم، وفق الطريقة المقترحة من قبل، ويستطيعون قبل وصولهم إلى سن الثلاثين أن يصبحوا بارعين جداً في القانون المدني، والقانون اللاهوتي، وخبراء بطرائقهم في الوعظ، وعندما تكون دراسة الكتابات عن العهدين القديم والجديد، وحياة القديسين قد استكملت في مرحلة الطفولة، ثم جرى تكرارها في محاضرات رسمية حول كتاب الـ Summae لمدة سنة، وقتها يمكن حسبما تقدم الوصف، بعد دراسة الفلسفة، أن يصبحوا منذ الطفولة جاهزين بشكل كبير لفهم، ولتقديم، ولتنفيذ ما يلزم في عدد من طقوس أعمال الوعظ، في كثير متنوع من أيام الأعياد، ولسوف تصبح طرائق الوعظ لديهم عادية جداً إلى حد أن تصير وكأنها طبيعة ثانية، وينبغي أن يترافق هذا ويتماشى مع الأ خذ بما جاء في القصة الفلسفية التي حكت كيف درب أ فلاطون الأطفال على أعمال الفضائل، حتى غدت هذه الأعمال بمرور الأيام طبيعة ثانية لهم،

وقد اندفعوا للقيام بهم وتنفيذهم، وكأن ذلك عملاً طبيعياً، وقد أوضح ذلك بقوله:«العادة طبيعة أخرى»، أي أنها تغير الطبيعة.

[48] : لقد أعلنت عدة قوانين مقدسة عن الخبرة، أنها سيدة الأمور، وقد وضح أنها هي التي توجب على الأساقفة الذين هم قادة الكنيسة، أن يتدربوا بشكل دقيق في الفلسفة وفي اللاهوت،وفي القانونين، وفي استخدام وفي ممارسة المعرفة من هذا النوع وهذا واضح بالنسبة للذين لاحظوا عجز الأساقفة الذين تعلموا، وبشكل متقن جداً، القانون المدني فقط، من دون القانون الكنسي، والشريعة اللاهوتية.

٧٧ : ويصح الشيء نفسه وينطبق على الذين أتقنوا فقط القانون الشرعي، مثل اتقان بعضهم فقط للقوانين الناظمة للرهبان.

٧٨ : وينطبق الحال نفسه ويصح بالنسبة للذين حصلوا على معرفة الفلسفة واللاهوت، ويتوجب على الأسقف القيام بهذا شخصياً، وليس من خلال الآخرين، وذلك من أجل ممارسة الأعمال التي لها علاقة بالتأمل، والأعمال المفيدة، من أجل أن يكون أكثر تأثيراً، وتهذيباً، وأن يكون أكثر خشية، وتوافقاً مع كلمات الانجيل:«يسوع ابتدأ يفعله ويعلم به»[أعمال : ١ / ١]، ومع أنه كتب من قبل المحامي الأعظم:«فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها»،[لوقا : ١٠ / ٤٢]، إن هذا لا يكفي من أجل الأساقفة في علاقتهم مع الخاضعين لهم وتحت طاعتهم.

وإذا ما أراد أسقف أن يتفرغ كلياً للتأمل وفق أسلوب مريم وطريقتها، عليه أن يدخل في إحدى طوائف الرهبنة الديرية، أو أن يعيش في الصحراء، تاركاً للآخرين عصا الأسقفية، وإذا ما كان بعض الأساقفة مكرهين على أن يكونوا عاملين في منحيي الحياة، وأن يتباركا وفقاً لهما، يتوجب عليهما أن ينالا من التدريب ما فيه كفاية من أجل

حاجتيهما في المسائل المرتبطة باتجاهي الحياة هذين، وذلك بقدر ما يمكن للطبيعة البشرية أن تتفهم وتحصل من مبادىء المعرفة، ولا يجوز لأي إنسان عندما يحصل على ما يكفي من معلومات، أن يحدد غايته النهائية بالحصول على الكمال، حتى يستريح عندما يصل إليها، لأنه لا يمكن أن يوجد في العالم إنسان بهذا الكمال، بل الذي يوجد هو الذي يحصل المزيد من الفائدة من المزيد من التعليم، والرب وحده هو الذي يمكنه تحقيق الوصول إلى غاية الكمال.

٧٩ [49] : ولسوف يكون مفيداً بالنسبة لبعض طلبة هذا المركز أن يتعلموا في مجال علوم الرياضيات — بقدر ما يراه الاختصاصيون في هذه العلوم موائماً وكافياً، وبشكل مختصر — بسبب كثير من تطبيقاتها العملية — وينطبق هذا بشكل خاص على المسائل التي تناولها الكتاب الصغير الذي صنفه الراهب روجر بيكون، بعنوان«حول منافع الرياضيات»، وبيكون من رهبان طائفة الـ Minorites ، ويتوجب الاهتمام الزائد والخاص بالموضوعات التي يمكن أن تكون ذات فائدة من أجل استرداد الأرض المقدسة والحفاظ عليها، ومن المتوجب على كل كاثوليكي، خاصة المتعلمين، أن يعرفوا مظهر، ووضع، ومكان العناصر، وحجمها وسماتها، وتراكيب الأجرام السماوية وحجمها، وسرعة الشمس وحركتها وتأثيرها، وكذلك القمر، والنجوم الأخرى، وأن يعرفوا كم الأرض صغيرة، إذا ما قورنت بها، وكم هي عظيمة إذا ما قورنت بالانسان، وهذا كله من أجل الانسان عندما يتعجب من هذه الأشياء، يمكنه أن يحمد خالقها، وأن يقمع رغباته الدنيوية وأن يتشامخ ويتكبر بسبب الأشياء الدنيوية، لأن جميع الأشياء في هذا العالم، والأشياء التي هي هنا من تحت، تعدّ لا شيء عندما تقارن به، وهكذا ينبغي أن تقدر.

٨٠ [50] : لنفترض أن أحدهم سوف يعترض، وسيقول مثل عدد

كبير آخر:«إن طرائق التعليم التي اتبعت حتى الآن كانت كافية لآبائنا، الذين ربطات أحذيتهم، الكاتب الحالي لهذا العمل غير جدير بفكها»،وسيكون الجواب: الاقرار بأني بالفعل غير جدير بفكها، ومع هذا إنه قد تحرك برغبة طبيعية من أجل استرد د الأرض المقدسة والحفاظ عليها، وغالباً ما قام كاتب هذا العمل بالتذكر والتأمل حول ما هو ـضار وـما هو مفيد لهذا المقصد، مثل ـحدائقي ـقام أولاً بتدمير النباتات الضارة، ثم الأشواك، ثم الأعشاب، وقام بعد ذلك بزراعة الحبوب ومزروعات أخرى، استهدف أن يحصدها عندما ستثمر، ولهذا بحث بهذه المسائل، وبالطرائق المتقدمة الذكر المتعلقة بالتعليم، كوسائل مفضية للمساعدة على الحفاظ في الأرض المقدسة، وللإستيلاء عليها، ففي تلك البلاد سوف يكون الطلاب غير قادرين على نيل أي تقدم، أو القدرة على امتلاك الوسائل من أجل إحداث التقدم، حتى تصبح البلاد غير مضطربة ومتحررة من الحروب، وأيضاً لن يتمكنوا بسهولة من إيجاد أساتذة يقومون بتدريبهم من أجل إحداث تقدم سريع في ميادين العلوم العملية النافعة، لأن كل أستاذ سوف يرغب[في ظل النظام القائم]بأن يبقي الطلبة يتعلمون منه لوقت طويل.

وسيعتقد كل أستاذ بشكل عام بأن موضوعه هو الأكثر أهمية ومنفعة من جميع الموضوعات الأخرى، وفوق هذا يعتقد كل واحد بشكل عام بأن المعلومات التي يمتلكها، والتي يرغب بتملكها بشكل كامل هي كافية لأن تقوده هو شخصياً مثلما هي كافية للعالم أجمع، ولقد نسي أنه ليست المعارف العظمى لوحدها ضرورية لقيادة العالم بل أيضاً الخبرة العملية.

كما أن معرفة موضوع من المواضيع مشفوعة بالخبرة العملية لموضوع آخر لن تكون كافية، ـمالم يكن الموضوعان متصلان ببعضهما بعضاً، ولا يمكن تحقيق هذه القرابة والصلة، مالم يتم اختزال طريقة الدراسة

ووقتهـا، للسماح للذين لديهم معلومـات نظرية بالحصـول على الخبرة العمليـة بسرعـة كبيرة حتى يتمكنوا من تملكهـا واستخـدامهـا لوقت طويل، قبل أن يبـدأوا بالعمل بشكل أحمق من خـلال انحـدار قـواهم العقليـة، وقدرتهم على إعطاء حكم سليم، فقـد قال الفيلسـوف:«تشيخ أدوات المشاعـر، لكن الفضائل لا تشيخ»، ولهذا علينا أن نكـون قادرين على إدراك ضرورة الاحتراز ضـد الأحـلام المجـردة، علماً بأن المعـرفـة ليست أدوات طاقة، بل هي حـاجات للأدوات، وتنحدر هذه الأدوات وتضعف بسرعـة من الرطوبة ومن البرد، وهي تضعف أكثـر في البلدان البـاردة، من ضعفها في البلدان الدافئة، ولهذا يمتلك الشيـوخ في المناطق الدافئة مشاعر عامة أكثـر، وقدرة أفضل على التذكر، وتجميع الأمور من الذين يعيشـون في بلدان باردة، وبين جميـع المناطق، المناخ المعتـدل هو المفضل، بما أن التطرف في المحيط يضعف القوى العقلية للانسان.

٨١ : وللأسـباب المذكورة من قبل، يتـقدم الشباب بسر عة كبيرة في العلوم ويصلون إلى الخبرة العملية بنشاط كـامل، ومع توقع حياة مديدة توافقـاً مع مسلمات القـانون، والطبيعـة، وبعـد نيلهم أولاً للمعلومـات النظرية، وبعـد ذلك للخبرة العمليـة، المسـاندة للمعلومـات النظرية، سوف يكونوا وقتـذاك قادرين على حكم عقول وأجسـاد الآخرين، لمدة طويلة، بسبب تـدريبهم الخاص من أجل المهمـة، لأنه كما كتـب«مـا من أحد يصبح متفوقاً بشكل مفاجىء».

٨٢ : يتوجب على الوقحاء أن لا يكونوا متـشوقين لعدم الموافقة على الشروع بمثل هذه التحسينـات العظيمـة، بل الـذي بالحري عليهم — بفضل نعـمة الرب — السعي ـجا هدين لتحسين وإكمال العمل غير الكامل من أجل المنفعة العامة، أو إذا مـا طرحنا القضية جانباً، يتوجب عليهم وقتها بذل الجهد في سبيل شيء أكثر مواءمة، وأكثر فائدة عملية، بقـدر مـا يسمح الهدف الأسـاسي، وعليهـم الحث على ذلك بلطف

وفصاحة، وقد قال الفيلسوف مؤيداً لهذا — مع أنه قد اكتشف شخصياً بالبراعة طرق الحكمة، ومبادىء رفض القياس المنطقي — :«من الصعب اكتشاف مبادىء أساسية، إنما ما أن يتم اكتشافها سوف يكون من السهل الإضافة إليها»، وتماشياً مع هذا وتوافقاً قال المشرع القانوني:«إن الذي يقوم ببراعة بتحسين الذي جرى اكتشافه، ليس أقل جدارة بالمدح من الذي عمل الاكتشاف أولاً».

٨٣[1 5] : ولسوف يكون مفيداً إبقاء الضعفاء جداً، غير القادرين على عبور البحر، في كل مدرسة من مدارس هذا المركز، وعندما يتعلم هؤلاء أكثر من برامج الدراسة الموصوف، وذلك بقدر ما تسمح به الظروف، يمكنهم القيام بتعليم الآخرين، وأن يصبحوا في النهاية رؤساء للمدارس، وينبغي طلب عدد كبير من أساتذة الاغريقية والعربية والكلدانية، مع أساتذة آخرين للغات أخرى تعدّ مفيدة، وعليهم القيام بتعليم آداب لغاتهم إلى أكثر طلابنا ألمعية، وإلى آخرين، يمكن أن تكفيهم دراسات أدنى للأدب وإلى اللغة الأم، بقدر ما يمكنهم من العمل كمترجمين ـكلاميين لغير المتعلمين، وأعتقد، أنه كما نرى بين لاتينياتنا عدة لغات أم متنوعة، موجودة تحت آداب كل لهجة، سوف يكون مفيداً بالنسبة للذين يرون أن لديهم القدرة على تعلم اللغات الأجنبية، أن يتعلموا اللغات العمومية الأكثر بين هذه اللغات، مثل الفرنسية بين لاتينياتنا.

٨٤[52] : وينبغي تعليم التلاميذ الأشد بنية بين تلاميذ هذا المركز الفنون العسكرية، وبالنسبة للآخرين الذين يتبين مع مرور الأيام أنهم متخلفين في دراسة الآداب، ينبغي تعليمهم الفنون الميكانيكية، خاصة الفروع النافعة منها، والمفيدة لفن الحرب، مثل فن الحدادة، وفن النجارة، ذلك أن الفيلسوف يقول:«فن الحرب أكثر نبلاً من جميع الفنون الميكانيكية، وذلك بسبب نبل الهدف الذي يسعى مجتهداً نحوه،

والذي هو السلام»، وينتمي إلى فن الحرب أكثر من سواهم: الحداد. ومنتج الأسلحة، ومثل هذا واضح أن فن النجارة من أجل فن الحرب يعتمد على هذين الفنين.

وينبغي أن يتعلم كيفية صناعة مختلف الأدوات، مثل المرايا المحرقة، والأدوات الأخرى المفيدة في أثناء القتال، واعتماداً على الاقتراحات التي وردت في الكتاب الصغير المتقدم الذكر، أي كتاب«حول منافع الرياضيات»، من الممكن تحقيق هذا وصنعه بمعونة كل من فني الرياضيات والعلوم الطبيعية، فبوساطة هذه الفنون يمكن صنع أشياء لم يسمع بها قط في هذه المناطق الغربية.

ومن الممكن أيضاً أن يتدربوا على كثير من الحرف اليدوية المفيدة من أجل استرداد الأرض المقدسة، والاستيلاء على المناطق المجاورة لها، لأن عدداً كبيراً من الرجال البارعين وذوي الخبرة في هذه المسائل قد ارتؤي أنه ـمرغوب فيهم، ومن غير الممكن أن يكون إنساناً واحداً ـقادراً على إتقان هذه الحرف اليدوية كلها، وهذا واضح مما رأيناه دوماً نحن وأجدادنا.

ومن المؤ كد والواضح لكل ذي بصيرة، وما لا يمكن لانسان أن لا يلاحظه، أ نه من النادر و جود إنسان بارع في حرفتين يدويتين، ولم يوجد قط من أتقن ثلاثة حرف، فكيف على هذا أن يوجد إنسان بارع في جميع الحرف، التي هي بيننا لا يمكن تعدادها؟ وإذا ما انعدم هذا في الحرف اليدوية، انعدم أيضاً في جميع مقاصدها، وأسبابها، وتنوعها، ويتبع هذا القول أنه لا يمكن لإنسان واحد أن يتولى تدريس جميع الحرف اليدوية، أو أن يكون مؤلفاً لها جميعاً، ويبدو أن مرد هذا وسببه هو أن صانع الطبيعة، قد رغب في إزالة كل مناسبة من مناسبات التشامخ والرغبة في السعي وراء الأشياء المتوفرة في هذا العالم، وأن يعطي تسويغاً، وسبباً، ومناسبة لكل إنسان، لاحتمال أن يكون هو

نفسه ممتلكاً لممتلكات ومخترعاً لحرف يدوية من دون توفر المزيد من الشره والحسد، فوق الحد المقبول، وبذلك جعل الأشياء اللامحدودة مسؤولية إنسانية، مثلها في ذلك مثل اللغات — والآداب وكذلك العاميات — والأماكن والمناطق، وضاعف أيضاً الحرف إلى حد أن لا إنساناً واحداً، ولا مائة، ولا ألفاً، ولا مائة ألف، ولا مائة مرة ألف ألف، يمكن أن يكون فيهم كفاية للصالح العام، والازدهار العام، في إطار المعنى العام للعبارة، لن يكون رجال منطقة واحدة، أو مملكة، أو ثلاث ممالك، أو عشر ممالك فيهم كفاية لبعضهم بعضاً.

وهذا صحيح، إلى حد يبدو الأمر فيه أن جميع رجال هذا العالم هم بشكل عام مسهمون بشكل متبادل في خيرهم العام، ويتبع هذا أن على الناس أن يكونوا متسامحين، وبلا شره ولا حسد لأي إنسان في حظه السعيد الطبيعي، وأن يكونوا مثل الحيوانات الأليفة التي تتسامح مع بعضها بعضاً، وهكذا قام مخلص الأرواح جميعها بالتعبير عن إرادته، عن طريق أفعاله أكثر منه عن طريق أقواله، وقد وجهنا بكلمته وفعله بما يتطابق ويصح مع ما قاله الرسول:«كل عمل من أعمال المسيح ينبغي أن يكون توجيهاً لنا»(من روما : ١٥ / ٤)، وقد جاء حول رسالته، وكتب حول تعليمه:«ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به»(أعمال: ١ / ١)، وقد حذرنا القانون المدني بقوله:«ليس مهماً كيف عبر الشعب الروماني عن إرادته، سواء أكان ذلك بالكلام، أم بالأوامر والأفعال ذاتها».

وبناء عليه ينبغي تعليم تلاميذ المركز مختلف أنواع الحرف التي ستكون ذات فا ئدة في استرداد الأرض المقدسة، والمحافظة عليها، وفي سعادة سكانها، بحكم كونهم المؤسسين لنظام يكون مناسباً في أوقات الحاجة الماسة، وعلى هذا التجهز وشراء معدات من مناطق نائية عبر البحر، تكون مفيدة جداً لتلك البلاد، وهي معدات نادراً ما توجد — إن وجدت — في داخل حدودها، ولقد قيل بشكل عام أن كل شيء

نادر، يعدّ ثميناً، ويحدث أن جميع الأشياء الضرورية والمفيدة لوجود الانسان ولسعادته، قد تتوفر بكثرة في بعض الأماكن وتنعدم في مناطق أخرى، فهكذا خلق الرب العظيم والرائع جميع هذه الأشياء للانسان، وهكذا وزعهم حتى لايجعلهم الانسان المعاق بالأضاحي هدفاً له، ورغبة لأن يعيش دائماً هنا بالأسفل.

٨٥ [53] : وينبغي تعليم جميع فتيات المركز، مثلهن مثل الذكور، النحو اللاتيني، والمنطق بعد ذلك، ولغة أجنبية واحدة، وينتقلوا بعد هذا إلى تعلم أسس العلوم الطبيعية، وأخيراً إلى الجراحة والطبابة، والذي أعتقده أن مثل هذه التدريبات — باستثناء النحو و الجراحة — ينبغي أن تعطى إلى الفتيات اللائي يظهرن أكثر قابلية للتعليم، ولديهن امكانات أفضل من سواهن، وينبغي أن يتعلمن أيضاً من كل علم من العلوم الأجزاء التي لها علاقة بالطبابة وبالجراحة، وبطريقة قابلة أكثر للفهم، وأكثر وضوحاً، وأكثر سهولة أيضاً، آخذين بعين التقدير ضعف جنسهن، ولأنهم ينضجن بسرعة اكبر من الذكور، ويحصلن بسرعة أعظم على مثل هذا الكمال، مما هو ممكن للذكور، ونرى الشيء نفسه في الاشجار وفي النباتات الأخرى، ويؤيد هذا ماقاله الفيلسوف، لدى حديثه عن هذه القضية في كتابه«حول الحيوانات» : «ينضج الذين أعمارهم أقصر بسرعة أكبر» .

ويمكن لبعض البارعات من هؤلاء الفتيات اللائي يظهرن أنهن قد لايتحملن عبور البحر، البقاء هنا بشكل دائم حتى يتولين المسؤولية عن الأخريات، وبمساعدتهن يمكن الاهتمام بالأخريات بإخلاص أكبر، وأن ينلن قسطاً وافياً أكبر في تعلم كل المعارف النظرية و العملية المتعلقة بالجراحة وبالطبابة، وبالمسائل التي يعرف أنها ذات علاقة بفن، وبحرفة التمجيد والتأليه.

٨٦: بالنسبة للفتيات المقرر أن يتزوجن ممن غير آخذ بمبادىء

ايماننا، التي تتمسك بها الكنيسة الرومانية، وتبشربها، وتراعيها، ينبغي أن يتعلمن المبادىء حسبما تأخذ بها الكنيسة الرومانية، وأن يحملن معهن جميع المبادىء مختصرة، وقد كتبت بوضوح، وبطريقة يمكنهن فهمها بما فيه الكفاية، ولن تكون المعرفة نفسها مضرة لا بل قد تكون مفيدة، لعدد كبير من تلاميذ المركز المتقدم الذكر، الذين لم يتلقوا تعليماً وافياً في اللاهوت، زيادة على ما تقدم، سوف يكون مفيداً أن يبقى في المدارس العديدة الخاصة بالطبابة والجراحة، التي تأسست من أجل الفتيات،، فتاتين، برعن في تعلم الطبابة والجراحة أكثر من البقية، وغدون أكثر خبرة في هذين الفنين، أن يبقين للقيام بالخدمة، ولسوف يتولين تعليم الأخريات في كل من الأمور النظرية والتطبيقية، وبذلك عندما تقوم الفتيات بمغادرة المدرسة، يمكن وقتها أن يمتلكن بعض الخبرة العملية، وذلك بالإضافة إلى المعارف النظرية، ومن الممكن لهن أن يتعلمن في المدرسة — وليس بعد ذلك — بسهولة أكبر، وأن يحصلن على كثير من الخبرة، التي بدونها سوف تكون المعارف النظرية ذات فوائد ضئيلة، ويؤيد هذا ما قاله الفيلسوف:«لقد رأينا في الشؤون البشرية أن الذين لديهم خبرة من دون معارف نظرية يتقدمون أكثر من الذين لديهم معارف نظرية في موضوعهم، من دون خبرة تطبيقية».

٨٧[54]: وبالطريقة نفسها سوف يكون مفيداً إذا ما نال الطلبة الذكور لهذه الموضوعات بعض الخبرة العملية فيهم، وهم ما يزالون في المدرسة، وينبغي إقامة حانوت صيدلي هناك، حيث يجري إعداد الأدوية، حتى يتعرف الطلبة إلى الأعشاب والعقاقير الطبية الأخرى، وإلى كيفية إعداد الأدهان، واستخراج الزيوت، والوصفات الأخرى العامة، وبذلك عندما يتركون المدر سة سيكون لديهم الاستعداد الكافي لممارسة هذه الخبرة.

٨٨ : ويتوجب إعطاء طلاب المعارف اللاهوتية بشكل خاص،

فرصاً وافرة لممارسة ذلك الفن بالقيام بوعظ رفاقهم الطلبة، وبتقديم القداسات إلى الأسن منهم، وبعقد المقارنات القصيرة بين النصوص بين آونة وأخرى.

٨٩[55] : وقد يسأل الانسان كيف يمكن إعطاء طلاب القانون في وقت قصير ما يكفي من الخبرة العملية التي تمكنهم من إصدار الأحكام ورفع الالتماسات، وهذا يحتاج إلى وقت طويل خاصة للحصول على مثل هذه الخبرة، فهذا ما يعرفه تماماً الذين أنفسهم يعملون بالممارسات هذه، وإذا لم يكونوا من العاملين، لا بد أنهم قد رأوا أعمال الآخرين، وقدموا الاهتمام الأعظم من أجل التعلم منهم، وهذا واضح ومشروح من قبل رأي هوغتون Hugution المعروف كثيراً، ذلك أنه كان أستاذ قوانين كبير، حيث قال:«سعيد هو الذي يجعله رعب الآخرين حذراً».

ويبدو من الصعب جداً إيجاد مخرج فيه كفاية ومواءمة، يكون سهلاً وليس ثقيلاً جداً، ومع هذا إنه من الممكن الانجاز، لكن مع صعوبة، ولهذا قال الفيلسوف:« ليس للمسألة المبدئية شكلاً في ذاتها، لكنها هامة بالنسبة إلى جميع الأشكال»،وبناء عليه استفاض وزاد فقال:« المسألة هي التي في حال الفعالية، وهي التي تشكل الفعل والاتمام لأي شيء جرى ترتيبه بانتظام»، فنحن نرى مصباحاً من الشمع، مهما كان شكله، يتلقى جميع اشكال الفعالية الهامة بشكل متعادل من خلال براعة النحاتين، وليس من خلال تقديم الأشكال الأخرى.

٩٠: وهكذا قضى خالق الأشياء كلها، أنه بالنسبة للفعالية في كل شيء، من الممكن تملكها في وقت قصير عن طريق خبرة قصيرة تأتي بو ساطة ممار سة للمسائل و للأسباب، روحياً ودنيوياً، وذلك مثلما الحال في كثير من الأشياء الأخرى التي ماكانت بسبب انعدام الفنيين أن تأتي إلى الوجود، ويستهدف الإسراع بالحصول على الخبرة العملية،

في إصـــدار الأحكام، وفي تقـــديم الالتماســـات، ويتطلع نحـــو ازدهار الأرض المقدسة مع سكانها، ومع أنه مناسب وصحيح أن يستولي على تلك البـــلاد أناس من كثير من البلدان، لكـن إذا مـارغب كل إنســـان وسعى إلى تطبيق عـــاداته وشرائع بلاده التي جـــاء منهـــا، أن يمارس إجراءاتها القانونية، سوف يحدث اضطراب عظيم بين السكان، ولسوف ينجم عنه مناسبات لاعـدّ لها ولا حصر من الخلافات، وإنه لأمـر مقرر بشكل عام أن يفضـل كل إنسان تفضيلاً عظيماً، شرائع بـلاده التي جاء منها، وعاداتها، ونظمـها، مع أنها قد تكون أقل مواءمة ـمما هو عائد إلى بلد آخر، وهذا ما عبر عنه أوفيد بقوله:

لست أدري بأي سحـر جميل، الموطن يجذب جميع الناس، ولا يسمح لهم بنسيانه

وقد كتب الفيلسوف يقول:«كل شيء ليـس هو عادة مؤلم»، ولسوف ينظر الإنكليز، والألمان، والإسبان، بعين عدم الـرضا، إذا ما جرى تبني عادات الفرنسيين وطرائقهم المتعلقة بالقضـاء، وستنجم خلافات لا عدّ لها ولا حصر من التباينات بين عادات ومذاهب الإجراءات، وفي النهاية ـسوف تتفـجر الحروب بين الأـخوة، الذين ينبغي أن يكونوا واـحداً في المسيح، وعلى وفاق مع ما قاله الرسول:«وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة»، [أعمال:٤ / ٣٢].

ولهذا، يبـــدو من الموائم مـن أجل تجنب منـاسبـات الاضطـرابات والحروب، التخلي عن العـادات الخاصة والطرائق العـائدة لأية شعـوب هاجرت إلى هناك حديثاً، واستبـدال ذلك بطرائق للإجراءات القضائية، هي قبل كل شيء سهلة، وأقل إرهاقـاً، وأقل تبديداً[للجهـد وللوقت]، وأقصر، ويمكن لسكان الأرض المقدسة — المتمـركزين في وسط أعداء السـلام — أن يجدوها أسهـل من الجميع بالفهم والتـذكـر، والتـدرب عليهـا، ومن الممكـن من خـلالها الحصـول بسرعـة على خبرة عمليـة،

ويمكنهم بعد هذا اتباع طريقة الإجراءات القضائية نفسها في المحاكم المدنية واللاهوتية، ويمكن وقتها تحديد الأسئلة وفقاً للشرائع المكتوبة، والقوانين المدونة، كما يمكن إزالة المعيقات، والحيل، وإطالة الإجراءات القضائية الموجودة بالعادة في كل مكان آخر، إزالة كاملة.

وبوساطة هذه الطريقة — التي سيجري شرحها بالتفصيل أكثر فيما بعد — يمكن لطلاب هذا المركز، الحائزين على خبرة في ممارسة القانون — حسبما تقدم البحث — أن يصبحوا على الفور قضاة لديهم ما يكفي من الخبرة، ومرافعين عن قضايا في أية محكمة من المحاكم، وهذا أمر لم يسمع بمثله من قبل، ويمكن بوساطة هذه الطريقة لذوي المراتب من الكهنة أن يكونوا مستشارين ومرافعين في بعض القضايا القانونية، وأن يفعلوا ذلك أثناء مكوثهم في كنائسهم، أو في منازلهم، ومن دون أن يدخلوا إلى أماكن المحاكمات، ولن يتمكن المرافعون العموميون من إفراغ أكياس أموال المتقاضين، كما هي العادة في كل مكان آخر، ولن يأخذ البت في القضايا أمام المحاكم وقتاً طويلاً، قد يتجاوز عمر الانسان، كما أنهم لن يكونوا قادرين لمدة طويلة على إعاقة الاهتمامات بالعلوم وبالفضائل، وبالأعمال الأخرى المتعلقة بالسلام.

٩١[56] : وسوف أقوم الآن بشرح هذه الطريقةالموائمة جداً في متابعة القضايا القضائية: على أي صاحب ادعاء في قضايا هامة، أن يقوم بعد استدعاء الدفاع إلى مكان القضاء، أن يضع أمام القاضي نقاط الاتهام نقطة نقطة، مما يود أن يبرهن على صحته، ومثل هذا في القضايا الأقل أهمية، عندما يكون الدفاع قد استدعي وهو موجود:

لقد ادعى«ب» ويريد أن يبرهن على صحة دعواه ضد«ت»، ويطلب أن يصدر حكم من قبلكم على«ت» نفسه، إلى حد ما يستطيع البرهنة عليه، أي أن«ب» نفسه قد أقرض«ت» المذكور مبلغ مائة مارك من الفضة الاسترلينية بعد ما عدّ المبلغ وسلمه إياه.

٩٢: بند: ـقام«ت» المذكور بحضور«ب» المذكور، بالاعتراف في أوقات أخرى بأن ما ورد أعلاه صحيح. بند: أقر «ت» المذكور، أنه سوف يعيد إلى«ب» المذكور مائة مارك استرليني صحيح، للسبب المتقدم. بند: لقد رفض«ت» المذكور إعادة دفع المال نفسه، مع أنه قد طولب به مراراً.

٩٣: هذا هو جوهر الشكاية كلها، ومن الضروري الانتهاء عند هذه النقطة، حيث يتوجب على القاضي نقل بنود الشكاية إلى الدفاع، من أجل أن يقوم بعد استعراض القضية كلها، بالإقرار بالجرم، أو برفض التهمة بالطريقة التي يرغب بها،فإذا كانت التهمة زائفة بسبب أن المال لم يجر تعداده قط ولم يجر بالتالي دفعه إلى المتهم، فوقتها يمكنه إنكار كل التهم، وينتظر من المدعي تقديم البراهين.

فإذا كان المال قد جرى إقراضه بالفعل، وتمّ الدفع بالفعل، لكن القرض قد ألغي، وهناك إيصال به، وقد سدد، أو تمت ترتيبات أخرى مع أشخاص آخرين، مع نية تجديد القرض ، يمكن للدفاع أن يقول: إن«ت» مقر بأن قرضاً مقداره مائة مارك من الفضة، قد دفع له منذ سنة خلت، وأنكر بالوقت نفسه جميع التهم الأخرى، وقال إنها غير صحيحة من جوانب أخرى، حيث عزم على أن يبرهن ضد«ب»، أنه دفع من بعد وسدد القرض إلى«ب» نفسه أو أن«ب» قد أعفاه من الدين، بنية جعله هبة، أو أن «ب» قد حلله من جميع التزا مات الماضي أو أنه عين مثل هذا المبلغ نفسه إلى آخر، مع نية تجديده وبذلك فرض على نفسه عدم المطالبة بالدين المذكور، وعلى هذه الشاكلة يسير الاستئناف وذلك وفقاً لما تتطلبه طبيعة الحقائق.

وإذا مارغب المدعي تقديم أي شيء عن طريق الدفاع، عندما يكون رد واستئناف الدفاع قد قدم إليه، على هذا المدعي القيام بتقديم إضافات إلى دعواه، وتقديم هذه الإضافة إلى الدفاع، ووفق الطريقة

نفسها يمكن للدفاع أن يضيف مايود إضافته، سواء أكان سنداً لقضيته أو غير ذلك، وتقديمه إلى المدعي، وأخيراً يتوجب على القاضي التأكد أن الحقائق نفسها لم تقدم بشكل مكرر، وأنه لم يتقبل مسائل لاعلاقة لها بموضوع الدعوى أو مقحمة فيها، وإذا وجد شيئاً من هذا القبيل، عليه رفضه، مع أية عبارات غير لائقة أو فيها إهانة، أضيفت من قبل المحامين، بعد هذا ينبغي تقديم البراهين ذات العلاقة من قبل الطرفين:أولاً بعرض الاتهام، ثم الاتهام المعاكس، وليتم ذلك تحت القسم، وبعد هذا يأتي دور تقديم الشهود ووثائق البرهان، وإذا ما أراد الطرفان المتنازعان، تقديم أسانيد إضافيه، بعد تقديم هذه الوثائق و الشهادات، ينبغي السماح لهما بفعل ذلك للمرة الثانية، التي ستكون بالفعل الإبراز الثالث للشهادة من كلا الطرفين، ولدى اكتمال هذه الاجراءات، على القاضي إصدار الحكم.

٩٤ : وقد يقول إنسان:«من الواضح أن طريقة الاجراءات هذه بعيدة عن الموائمة، وأدنى من الطريقة المعتادة التي كانت متبعة بشكل عام فيما مضى، ولا يبدو أن تحصيل الخبرة العملية في طريقة الاجراءات الجديدة من الممكن نيلها بسرعة»، وأنا مقتنع أن ذلك ممكناً، وأننا بتبني الطريقة المقترحة سنوفر كثيراً من الوقت، ومن خدع المحامين، ومن الواضح من جانب واحد فقط أن قصر الأمور على الكتابة، يجعل شكوى مكتوبة واحدة كافية للادعاء، وللمناقشات ولفحص الشهود، ومع إمكانية إبداع طريقة رسمية لرفع الشكاوى فهي لن تطوي المناقشات، والنقاط التي حولها سيجري فحص الشهود، وقد تعوّد الطلبة على التعايش بسهولة أكبر مع الشكايات، وأسرع من القدرة على استيعاب المناقشات والشهادات، ويمكن لهذه الأمور كلها أن تصبح معروفة بالطريقة نفسها، عن طريق المذهب المقترح.

٩٥ : فضلاً عن هذا: من الممكن للقضايا التي تقدم بها الطرفان أن

تدخل في الكتاب السنوي للقضاة، ومن الممكن صنع نسخة منه، بعد إدخال الخلاصات النهائية فيها، لتخصص للاستخدام من قبل رجال الإدعاء، وأخرى من قبل رجال الدفاع، وبهذه الطريقة نفسها يمكن توفير نسختين إضافيتين، وجعلهما تحت تصرف الشهود من أجل إيداع شهاداتهم، حيث من الممكن فحص الشهود العائدين لكلا الطرفين، وأخذ شهاداتهم في الوقت نفسه.

٩٦: وسوف تكون هذه الطريقة في تسيير الأعمال القضائية مفيدة جداً للشاب في تحصيل الخبرة العملية في وقت قصير، بلا جهد تقريباً، وإذا كان السيد المقدس الحبر الروماني يرغب في الأخذ بطريقة الاجراءات هذه، فإن كاتب هذه الرسالة على استعداد لتقديم إجراءات للإدعاء والدفاع في كل قضية قد ناقشها اللورد روفريدوس Rof-fredus في كتابه الصغير حول القوانين، وذلك مع جميع القضايا المثارة من قبل، ولم يتعين لها حل، أو من حوادث نجمت حتى الآن، وهذه الخطة عرضة للتصحيح من قبل الرؤوس الحكيمة بالمساعدة مع المصنف، وإذا ما استكملت ووضعت للتنفيذ، فإن الأرض المقدسة سوف تنال المنفعة عن طريق أن يصبح سكانها جميعاً متعلمين للقانون بشكل جيد، وخبراء في أعمال الإدعاء، وفي إصدار الأحكام، وفي الوعظ، وفي التألق بالحكمة اللاهوتية، ويمكنهم الحفاظ على هذه الدرجة العالية من الكفاية لمدة طويلة، في الحقيقة للجزء الأكبر من حياتهم، وذلك عوضاً عن الإخفاق بسرعة، فقط لدى الشروع بالتقدم، كما رأينا مراراً في الماضي، وما زلنا نرى.

ولسوف تسهم الخطة المقترحة بتملك العلوم واستخدامهم بشكل يختلف عن الطرائق المستخدمة حتى الآن، وذلك بتقديم تأثير كبير على الوئام في إدارة الأرض المقدسة، وبعد إعطاء التقدير المستحق لجهود هذه الخطة، والاهتمام الزائد بالتدريبات والخبرة العملية التي تعطيها،

وذلك مع فوائدها، وبعد تكريس المزيد من الجهد لها أكثر مما يقدره أي إنسان، إنني أعتقد — أنه بعون الرب — أن الكومنولث الروماني كله، لاسيما الخاضعين إلى الكنيسة الرومانية، سوف يتبنون هذه الطريقة لاختصار الاجراءات القضائية، وتلطيفها بقدر ما يراه أكثر الناس حكمة مفيداً.

٩٧[57] : ومن الممكن حشد حججاً قوية ضد هذا الاقتراح — وهو احتمال قد يتمتن بخدع الشيطان وحيله، مع معاونيه الذين لا عدّ لهم ولا حصر — ومع ذلك على سبيل المثال :«أنك بالطريقة المختصرة التي وصفتها، والتي شددت على التوصية بها بمثابة طريقة مختزلة من أجل تسريع الأعمال القضائية، إنك تقوّم عن سابق تصور وإصرار كثيراً من القوانين التي سنت بعد صعوبات جمة، فهي ستصبح وقتها بلا فائدة، وبدون هدف، ولا حاجة لشغلها صفحات الكتب».

ومن الممكن مواجهة هذه الحجة بطرق عدة، فبعض القوانين قد أظهرت كيف يمكن بها تسوية القضايا القضائية، فهذه لم تتغير، وكذلك لم تتغير صلاحياتها، ولم تدمر عدم فائدتها بهذه الخطة، لكن هناك قوانين أخرى، تميل نحو إثارة المشاحنات، وتسبب لأسباب أخرى إثارة التناقضات، ويتبع ذلك عدد لا يحصى من الاحراجات التي تتولد من تطبيقها في أيامنا، ومن المفترض أن يتولد المزيد في المستقبل، لأن الشرور لدى بني البشر في تزايد، ومثل هذه القوانين سوف تمحق بوساطة هذه الخطة، إذا ما وضعت قيد التنفيذ، إنما لن يجري محق القوانين التي هي موجودة في«مجموع القوانين المدنية»، فهؤلاء يشكلون قاعدة جيدة من أجل الحجج القانونية، وهي أفضل من القوانين التي ـسوف تلغى، بكل ما تعنيه الكلمة، وهؤلاء أيضاً سيكونون ـموائمين كثيراً لعدد كبير من القضايا القضائية، هذا ولن يكون انحرافاً، في ظل مثل هذه الظروف، الابتعاد بعض الشيء عن بعض المواد النظامية في

هذه الشرائع والقوانين.

وبهذه الخطة سوف تصبح سلطات هذه القوانين عظيمة جداً في الأرض المقدسة، لأنهم لن ينالهم التعديل بوساطة العادات بالمحاكم المدنية، مثلما حدث للقوانين حتى الآن هناك، ولسوف يحافظون على مكانهم أكثر من ذي قبل، لأنهم سوف يتغلبون على العادات، وسوف يجري اتباع الطريقة نفسها من الاجراءات في كل من المحاكم اللاهوتية والمدنية، وسوف تكون الطريقة الاجرائية في تسيير القضايا القضائية رسمية واحدة في جميع أرجاء تلك البلاد، لأن تسوية القضايا القضائية، وسن القوانين التي سوف تحكم بموجبها مثل هذه المسائل سوف لن تتغير، ولسوف تتم المحافظة على صرامة القانون دونما إفساد أو تلف، ولن يجري تحديد المواد التي تستخرج منها الأحكام، ولن يسمح لهذه الأحكام بالصدور ما لم تصدر عن براهين هذه المواد، محصلاتها وبراهينها التالية، وهكذا يمكن للجدليين المنطقيين أن يقولوا عن القياس المنطقي، عندما يطرحون القاعدة المطلقة بأنه لا يمكن الوصول إلى نتيجة عندما يمكن لمحصلة معاكسة الوقوف مع السابقة، وإليكم ما يقوله المشرعون : من مائة برهان يظل خمسون يتوالدون أو بكلمات أخرى، ولنستخدم هنا تعبيراً عاماً:«الحقيقة المفقودة، لا يبرهن فقدانها على أنها موجودة».

وعلى الانسان مراعاة هذه القاعدة بدقة، كلما كان من الضروري إصدار حكم، سواء استمرت الشكاية أو جرت البرهنة على صحة ما قاله المدعي أو ما قاله الدفاع، وإذا ما تركنا إصدار الحكم يعتمد على الحظ، نكون قد اقترفنا غلطة بحق طبيعة الحكم بالذات، وإذا ما ظهرت هذه الغلطة، يصبح الحكم الصادر لاغياً بوساطة القانون نفسه، ولهذا قال الفيلسوف:«في قليل جداً من القضايا تكون الأ صداء وبالتالي الأحكام منطقية، وتظهر بشكل جيد»، وهذا واضح من حقيقة أن كل

محاججة تنبني وتتبرهن بناء على قوة القياس المنطقي، والذي ينهي المحاججة هو الأشد اختصاراً بينها جميعاً، وتأتي بالضرورة بالقضية إلى محصلة ذات شكل وبنيان ينتمي إلى جميع المحاججات، ولهذا السبب طرحنا من قبل أن على طلاب هذا المركز أن يتعلموا فن المحاججة والمناظرة، مع قليل من الفلسفة، حتى يمكنهم معرفة طبيعة البراهين وفن المقارنة، مع كيفية إيصال القضايا إلى محصلاتها، بمقارنة المحصلات التي عرضها المتشاركون، وأن يعرفوا كيفية تقرير فيما إذا كانت الأسس صحيحة، وفيما إذا كان من الممكن أن نستخرج من صحة الأسس صحة المحصلة التي من الضروري أن تتماشى مع الأحكام المقررة أعلاه، ومن هذا المنطلق حدث أن كثيراً من القضاة البارعين في القانون، لكن غير القادرين على دراسة العديد من القضايا القضائية، قد اعتادوا على إحالة القضايا إلى آخرين أقل براعة وأقل خبرة، وهكذا بعدما تقدم إليهم تقارير حولها، يصدرون أحكامهم على أساس الخلاصات الموجزة للاقتراحات وللبراهين، وبذلك يفرضون حكماً متساوقاً مع البرهان، ومتناسباً.

لأنه كما يقول الفيلسوف:«العقل البشري بسيط وغير مجزأ، وإلى حيث وجهت اهتمامه توجه بشكل كلي»، ولهذا السبب يفهم في وقت واحد شيئاً واحداً فقط، أي في كل لحظة من اللحظات، ولهذا على الانسان أن يقدر السبب وراء طلب الانصاف القضائي، وفيما إذا كان هذا الطلب قانونياً، ومتساوقاً مع القانون وغير متعارض، ثم فيما إذا كان قد بني على حقيقة، وأخيراً، إذا ما تبرهنت صحته، هل صحة المحصلة المطلوبة والمستخرجة من الضروري اتباعها؟ وبوساطة هذه التحريات والتقديرات لا يمكن للعقل البشري أن ينخدع لدى إصدار الحكم، عندما تكون الشكاوى، والبراهين، والالتماسات الواردة في المحصلة قد عرضت وفق هذه الطريقة.

ولقد قيل بأن معظم الأحبار الرومان الأعظم قداسة، قد اعتادوا على التفوه بالأحكام مرفقة بالمنطق الأصح، وبالبراعة الفلسفية، مع أنهم لم يتولوا قط دراسة القضايا القضائية، ولعل سبب هذا أنها أعطيت إليهم وسلمت من الأول الذي بدأ يفعل ذلك، أو أن ذلك ولد فيهم، أو وهب إليهم بنعمة ربانية.

٩٨: ومع أن المنطق يجهز ويعلم طرائق صحيحة للتعلم، وللفهم، ولمعرفة جميع العلوم، ولتعليمها، مع ذلك يحدث في حالات نادرة، أن إنساناً ما، بحكم مواهبه الطبيعية، يمكن أن يمتلك حكماً صحيحاً صادراً عن منطق طبيعي، إلى حد أن قدرته القضائية، وطريقته المنطقية في التفهم هي متفوقة، وأكثر سمواً من براعة الآخرين، أو مساوية لها، ومن الممكن سوق برهان على صحة ذلك مما قيل بأن جالينوس قد كتب به إلى أبوقراط قائلاً:«ما من إنسان يمكنه، أو أمكنه، فهم فن الطبابة، ما لم يعرف المنطق أولاً، باستثناء أبوقراط وحده لأنه متفوق جداً بالذكاء».

وينبغي على الملوك، والأمراء الآخرين الكبار، والقضاة، التفوه بالأحكام وفقاً لنظام منطقي ما، وعليهم ـعدم الاصغاء إلى المشاكسين المنحرفين والمخادعين، ولا إلى الخدع المتغيرة للمدعين، ولا إلى كلامهم المعسول والبارع الذي يتفوهون به بطلاوة وبراعة، مع طرائقهم الخاصة بالكلام وبالضحك، ولا بحركاتهم وبإيماءاتهم التي تنم عن التوسل، أثناء أحاديثهم، والتي إذا ما دونت سوف تصل إلى شيء لا يتجاوز كلاماً أجوفاً وفارغاً قصد به التأثير، وترافق مع تغيير بالنبرات، مثل الصراخ الذي يشبه الرعد أحياناً، وعوضاً عن هذه الطرائق، إنه أفضل بكثير أن يجري تحري القضية من خلال، وبوساطة سجل مكتوت بشكل دائم، وذلك بدلاً من الاعتماد على الكلام العابر، فوقتها يمكن تقديم جواب محدد لشكاوى محددة وليس مجرد كلام انبعث على الفور

ثم زال وتبدد.

٩٩ [58]: تقدست الأرض المقدسة بالدم الثمين، وبالأعمال، وبالحضور الجسدي لمولانا يسوع المسيح، ولهذا من المناسب بأن تكون آمنة مستقرة أكثر من غيرها جميعاً، لأنها الأقرب والأحب إلى ملك السلام، الذي يقال بأنه أعطى لا شيء سوى السلام إلى حواريه وإلى أخوانه، وعندما بفضل نعمة ورحمة ذلك المخلص نفسه، سوف تتوقف الحرب في تلك الأرض، لا بل حتى مع استمرار الحرب، يبدو من المناسب كثيراً أن تتوقف المشاجرات بين الكاثوليك المقيمين هناك بوساطة الطريقة المتقدمة الذكر، أو بطرائق أقل إرهاقاً وأذى، وأكثر فعالية وسرعة.

وجميع مساعي إعاقتهم وتأخيرهم مساعي شريرة، ويوجد الآن شرين أو أكثر، أحدهما لا يمكن تجنبه، والأقل هو الذي ينبغي أن يفضل، ولهذا يتوجب بموجب ذلك على الأب الكبير، أن يتفحص، وأن ينتخب وأن يتبنى نظاماً للاجراءات القضائية يكون أسهل وأقصر، وأقل كلفة، وإرهاقاً وأذى لأبنائه، وفي ضوء هذه الحقيقة، وبما أن السكان الجدد للأرض المقدسة لن يكون لديهم لا شرائع، ولا عادات، ولانظم خاصة بهم، يتوجب على الحبر الروماني المقدس، الذي هو الأب لجميع الكاثوليك، أن يتفضل ويتلطف بتأسيس النظام المتقدم الذكر إليهم، أو نظاماً أفضل، يتولى تسوية جميع خلافاتهم في أي محكمة من المحاكم، وبهذه الوسائل يكون قد فعل ما ينبغي لإخماد خلافاتهم، ثم عليه أن يغتنم الفرصة التي تهيأت بوساطة الاقتراحات المعروضة أعلاه، فيسعى للاقلاع بإصلاح عام روحياً ودنيوياً للأوضاع داخل الكومنولث المسيحي، وذلك حسبما يلهمه أبو الضياء، وينبغي أن يقوم بإصلاحاته بطريقة تعيش فيها هذه الاصلاحات لجميع الأوقات.

وإذا كان من المتوجب عليه إزالة الخلافات وإقامة السلام في مدينة

واحدة أو أسقفية،أو أكثر في مقاطعة، أو حتى أكثر في مملكة، أو ربما في عشر ممالك — كم عليه أن يعمل من أجل سلام دائم: روحياً ودنيوياً بين جميع الكاثوليك؟ ومن غير الممكن تحقيق هذا الاقتراح العظيم والرائع إلاّ من خلال الملك المحب للسلام، بما أنه صادر من عند الرب العظيم، ومن خلال الذي عهد إليه وحده بكامل قواه على الأرض، وبهذا الخصوص قال المانح المشهور للقانون المدني:«لأننا كنا مشغولين بالاهتمام بالكومنولث كله لم يقع اختيارنا على شيء هام جداً» ، إلخ.

١٠٠[59] : على الرغم من حقيقة أن الكاتب الحالي لهذه الرسالة سوف يتخلى عن المبلغ الكبير الذي يأتيه من خلال عمله مستشاراً في القضايا التي تخص السيدين الملكين الرائعين، ملكي فرنسا، وإنكلترا، وفي قضايا قضائية لاهوتية أخرى، وسوف يضطر لعدم الاستمرار في موطنه الأصيل، إنه على الرغم من هذا كله على استعداد للقيام بتنظيم القضايا المذكورة أعلاه، لا سيما المدارس العائدة للمركز المقترح، وبمعونة الربّ، وفضله سوف يقدم المساعدة في هذا العمل بكل ما أوتيه من قوة، لعله يكون شريكاً مسهماً في هذا المقصد الهام جداً، ومن ثم يغني مع المزمور قائلاً:«أنا رفيق لكل الذين يتقونك ولحافظي وصاياك»[مزامير : ١١٩ / ٦٣]، وأتفق مع الرسول عندما يقول:«فلنعمل الخير إلى جميع الناس بقدر مانستطيع»[غلاطية : ٦ / ١٠ بتصرف]، وأتفق أيضاً مع الذي اقترح القانون بقوله:« على الانسان أن يعمل كل مايستطيعه لإنقاذ الحياة الأرضية لإنسان آخر، دون أن يعيق خلاصه الأبدي».

١٠١ : وإذا ما بدا أنه من المناسب إقامة حلف للسلام العالمي، وفق الطريقة التي جرى شرحها، ينبغي أن يكون هناك قراراً جماعياً من قبل مجلس للأساقفة وللأمراء يقضي -بوجوب أن يحلف جميع الأساقفة مهما كانت مراتبهم، وكذلك الفرسان، العلمانيون حسب خدماتهم، أن يحلفوا

أيماناً مهيبة بالمحافظة، بكل ما يملكونه من قوة، على حلف السلام هنا، وعلى فرض عقوباته، ومراعاتها بكل سبيل من السبل، وكل من يتمنع، أو يهمل هذا القسم، ينبغي أن ينال عقوبة الحرمان الكنسي الرئيسية، ويتولى فرض ذلك عليه بوساطة السلطات الرسولية، وبوساطة المجمع المقدس، وكل من يخرق في المستقبل حلف السلام هذا يتوجب مهاجمته بكل ـحدة بقوى جميع فر سان العساكر الدنيوية والروحية، حتى لا يمكنه المقاومة.

١٠٢ [60]: وبعد الانتهاء من هذه المسائل، إن الهم الثقيل الثاني للكاتب الحالي، متركز حول توجيه راهبات طائفة القديس بندكت، وهي جماعة من الممكن أن تتملص من إصلاح أحوال الكنيسة المعروض أعلاه، فبعد تقويم عادي للمخاطر الناجمة عن حياة العزوبية، وتكاليف الحفاظ على أرواحهن، وعلى التبريكات غير العادية التي يمكن أن يحصلن عليها، يبدو أنه من الموائم أن يقوم الحبر الأعظم، بناء على طلب من الأمراء الذين غالباً ما أسسوا الديرة من أجل الراهبات المكرسات، أو قدموا الهبات لهن، أن يقوم باتخاذ قرار في المجمع، إنه في الوقت الذي تتوفر فيه نفقات كافية للديرة الحاوية للعذراوات المعترفات، ينبغي إنقاص أعدادهن حتى لا يكون في المستقبل في الدير الواحد أكثر من ثلاث عشرة راهبة.

ومن المتوجب إنفاق الهبات المخصصة لديرة من هذا القبيل لصالح الفتيات اللائي سوف يتدربن وفق الطريقة التي تقدم عرضها، وينبغي إضافة أعداد الفتيات اللائي يحسن القراءة والغناء إلى أعداد الراهبات، ولسوف يكون هذا العدد كبيراً جداً، وبذلك لن تعاق القداسات اللاهوتية مطلقاً، ما لم يتناقص العدد وفقاً لطريقة طائفة المبشرين، وينبغي حماية المنح المعطاة إلى هذا النوع من الديرة والدفاع عنها، بوساطة المسؤولين داخل المركز العتيد المقترح، ومن المتوجب استخراج

مبلغ كاف لتقديمه للانفاق على الراهبات وعلى رؤسائهن حسبما كان الأمر من قبل، لكن ينبغي إيقاف جميع النفقات التي يمكن تجنبها، وكذلك النفقات التي هي بلا فائدة، وعلى الفتيات ذوات الحياة المدنية، اللائي يتبعن النظم المدرسية التي أوجدها مديروا المركز، المشاركة في الصلوات الصباحية وفي القداسات، ومن الممكن إعفاء الفتيات اللائي يبرهن أن تعليمهن أسهل من هذا الواجب.

وسوف تضع السمة الأخيرة لهذه الخطة حداً لكثير من الشرور المعتادة، ولا سيما ممارسة قبول الراهبات مقابل دفع المال، أو لاعتبارات أخرى، وكذلك اختيار الدير لشخصيات ذكية ليكن راعيات أو رئيسات، والترخيص بعدد كبير من التجاوزات الطبيعية وغير الطبيعية، وينبغي الاستمرار بالطقوس التعبدية في الديرة كما هي من قبل، وإجراء هذه الطقوس خارج الديرة بمساعدة الفتيات المغادرات للدير، وينبغي استخراج ما يزيد على ثلاثين ألف ليرة تورية سنوياً إلى صالح المركز المذكور، وإذا جاء المبلغ المستخرج أقل من هذا المبلغ العظيم، من الممكن، لدى وفاة الولاة الحاليين، ردفه من المبالغ المخصصة لهذه الديرة، وذلك بعد حذف نفقات نواب الأساقفة، وكذلك من واردات ومنتجات كثيراً من الكنائس الغنية، التي تحت إشراف هؤلاء.

ومن الممكن أن يحاول إنسان — بناء على تحريض من الشيطان — تعطيل هذا الاقتراح على أنه اقتراح شرير، قائلاً إنه من هذا الشر سوف تنبع شروراً أخرى كثيرة، وإذا ما أراد أن يدعم معارضته بوساطة مثل هذه المحصلات غير الممكنة، والمتناقضة، وغير المهمة، من الممكن إجابته بإقرار أن كثيراً من الشرور يمكن أن تنجم عن شيء جيد، إنما مع هذا، لا يجوز للانسان تجنب فعل الخير.

وحسبما ذكرنا من قبل، إنه لمن الواضح من آراء جميع الفلاسفة الذين علقوا على هذه المسائل، أنه من غير الممكن وجود صلاح كامل بين

الناس الذين يستخدمون قدرة حرية الارادة الممنوحة إليهم من قبل الخالق، ولهذا من المستحيل صياغة قانون عام يمكن من خلاله عدم اتباع كثير من الشرور، علماً بأن القانون بحد ذاته هو خير.

[61] : ويمكننا بوساطة إجراءات بارعة وحكم منطقي، أن نقرر أياً من هذين الخيارين سوف يكون أكثر مواءمة، وأعظم خيراً، ولنفترض أن لدينا بيتاً للداوية وبيتاً آخر للاسبتارية، ورعوية تابعة للقديس لعازر، وديراً للفتيات، مثل الذي رأيناه حتى الآن، ولنقم من جانب أول بتقويم الخير الذي يمكن أن يصدر عنهم، والشرور التي ترافق سوء استخدامهم، ولنقم من الجانب الآخر، بالطريقة نفسها، بتقويم الخير والشر الذي سوف يصدر عن الخطة التي تقدم وصفها، أو يمكن افتراضاً أن يصدر، ثم دعونا بعد هذا نعقد مقارنة بين شرور وشرور، وبين خير وخير، وبذلك يمكننا أن نختار بين شرين أو بين شرور أكثر — مهما كان عددها — الشر الأقل، وأن نختار بين سمات الخير المتنوعة أحسنها وأفضلها.

وبمناقشتنا المسألة بهذه الطريقة، ولدى وصولنا إلى محصلة من خلال المحاكمة المنطقية، وبعدما ـقدرنا الخير والشر تقديراً صحيحاً وعادلاً وصادقاً، ألن يقع اختيارنا وفقاً لهذا المنهج على الشر الأقل والخير الأكثر؟ وما من أحد يمكن أن يكون صالحاً ما لم يقم أولاً بالتخلي عن جميع الشرور، وفعل الخير بعد ذلك، ولهذا دعونا نقدر الخيروالشر الذي يمكن أن يصدر عن هذا الجانب وعن ذاك، ومن الممكن أن نعهد بسلطة الحكم والاختيار إلى طائفة الواعظين، وإلى طائفة القلة، لأن رجال هاتين الطائفتين، أكثر من سواهم من بين الناس الأحياء معرفة بأوضاع الجانبين، فبعد الاصغاء إلى الحجج المختلفة من كلا الجانبين، وبعد تفحص جميع الوثائق، والبراهين الاضافية، التي باتوا عارفين بها، إنني أعتقد أن من الممكن أن نحصل منهم على الرأي المعتمد والأكثر

صحة، وبهذه الطريقة — كما أعتقد — يمكننا الحصول على أصح الأحكام المنطقية، وذلك بقدر ما تسمح قوانا البشرية الهشة به.

وبالتمسك بهذه الطريقة من الاجراءات، يبدو من غير المحتمل إيجاد أي شيء، وتقديم أي شيء يثار ضد الكتّاب، والرغبات الطيبة لهذا الاقتراح بالتغيير.

ومن المؤكد أن الذين يختارون الالتزام الدائم بمقترحات القانون اللاهوتي حالهم أكثر كمالاً من الذين اختاروا الالتزام بظلاله فقط، ومن المؤكد أيضاً أنه جيد بما فيه الكفاية الالتزام تماماً بظلاله، لكنه شر الالتزام بأقل من المقترحات، وعليه يذنب الذين لا يلتزمون تماماً بهذه المقترحات ويسقطون، ولذلك ينبغي أن لا يختار الانسان موقع الكمال التام، ما لم يعدّ نفسه قادراً بشكل صحيح على الالتزام به تماماً، ونتيجة لهذا على بني البشر في أيامنا — لا سيما من عنصر النساء لضعفهن المشهور — أن يختاروا الجزء الأسلم، خشية أنه في غياب الراعي وعصاه سوف تتيه الشياه قرب الغابة، فيفترسها الذئب إذا ما دخلت إليها، لكن إذا بقيت في الخارج فسوف تتلقى المدح والمكافأة، وإذا لم تفعل ذلك فسوف تفترس، فأين هو الانسان العاقل والمجرب الذي سيتطوع بإخضاع أولاده وتعريضهم لمثل هذا الخطر وهذه العقوبة؟

وكما قال الفيلسوف:«الحركات الأولى ليست في قدرتنا»، ففي الوضع الحالي للمشروع المرغوب به، من النادر أن يتمكن أي إنسان من مقاومة طغيان الشهوانية وقدرتها، ومقاومة الأقلية أدنى احتمالاً بتعويض أرض الآباء السماوية من انعدام المقاومة من قبل عدد كبير من المحتمل قيامهم بإلحاق الضرر بها، ولوفقط أن الآباء المقدسين — قبل إقامتهم لهذه المصائد — التي صنعوها بمقاصد طيبة، عندما زادت من الذنوب وضاعفتها بحيث تجاوزت تعاليم كل من العهدين القديم والجديد ـ لم أنهم فقط رأوا آنذاك هذه المصائد كما يرونها الآن، وهي مصائد نصبوها

متطوعين، وكذلك لو رأوا أعداد الـذين أدينوا بسببها!، وبما أن الطبيعة البشرية نزاعـة للابتعـاد عـن الإيمان، وميـالة نحـو الاعتـداءات، ينبغي الابتعـاد عن إغواءات الوقـوع بالذنب، وأيضـاً عن تدمير قطيع المسيح من خلال الابتعاد دوماً عن الذنب.

وبناء عليـه يبـدو أنه مـن الموائم تقـديـم حل لطيف ومسـاعـدات لطوائف الـرهبـان المتســولين — مع أنهم لا ينشـدون ذلـك — من ممتلكات الكـومنولـث لكل مـن رجـال الـدين والعلمانيين، وبـذلك يتحـررون من كثير من الأفعـال التي يقومـون بها تحت ضغط الحاجـة، ويمكنهم بذلك الحصـول على الوقت مـن أجل التأمل، ويتـوقفـون من الآن فصاعداً عن التسول، فقـد أمر الرب بتأمين موارد العيش إلى سبط لاوي، دون أن يكون لهم نصيب في ميراث آبـائهم، مع أنهم استحقـوا ذلك أكثـر من الآخـرين، وحبـذا لو تقـوم الكنيسـة بتـزويد الرهبـان المتسولين بالخبز، والخمرة، وبما يكفي من الألبسة، والأحذية، مع فرصة نيل بعض الأعطيات، فلعل ذلك يكون كـافياً لسد حاجـاتهم الأخرى، آخذين بعين التقدير، العقل، والحكمة، والخبرة لدى بعض أفرادهم.

ولعله يكفي إتيـاننا على ذكر هذه المسـائل، وطرح الوسائل الوحيـدة بالتخطيط بشكل فعـال للوصول إلى الغـاية التالية، ذلـك أن يقوم ذوي العقـول الحكيمـة بينهم، بتقـدير الشر والخير النـاجم عن فقـرهم، وأن يختاروا الحل الأسلم، ومن ثم يضعونه أمام المجمع في ضوء معلوماتهم، وعندمـا يتناقش المجمـع المقـدس حـول مستقبل الأمـور غير المؤكـدة، يمكنه أن يقرر المنهج الأكثر فائدة.

١٠٣[62] : وإذا ما أخفق المجمع في اتخاذ إجراء تهدئة للصراع الذي تفجـر بين ورثة مملكة كـاستيل، فقـد يعيق ذلك فعليـاً استرداد الأرض المقدسة والحفاظ عليهـا، وقد قيل بأن الذي يتملك المملكة الآن، موقفه غير عـادل تمامـاً، فقـد عقـد اتفـاق بين الابـن الأسن للملك— الذي

انتخب امبراطوراً في أيام الصراع — وبين ابنة القديس لويس، ملك فرنسا، وكان قد عقد اتفاق، وجرت تسوية، أنه إذا ما مات ذلك الولد قبل والده، فإن الحفيد ينبغي أن يتولى العرش، وقد وافق على هذا الملك نفسه، وأساقفة وبارونات مملكته، ومراغمة لهذه الاتفاقية، لابل مراغمة للعدالة العامة وللقانون الطبيعي والإلهي، عندما مات هذا الولد، مخلفاً ولدين، قام الأب نفسه، أي جد الولدين،فتوّج ابنه الحي، وبذلك حرم حفيديه، وخرق تعهده، وحنث بعهده وبكلمة الشرف التي أعطاها، فذلك الابن المتوج لا حق له شرعياً بالمملكة، وهو متمسك بها بشكل مضر لخلاصه الآخروي ولخلاص المؤيدين له، وفي ذلك إيذاء أيضاً إلى الوريث الحقيقي.

وهذا الذنب العظيم، واضح من خلال جميع أدلة الحقيقة ذاتها، وهو مشاهد بو ضوح من قبل جميع الذين يقفون إلى جانب المغتصب، ولا يمكن لأي منهم ادعاء الجهل، ولهذا عمل والدهم الروحي، الذي هو غير جاهل بالحقائق، ومن واجبه تقديم حل، خشية أن يطلب دمهم من يديه، وربما يمكن إنجاز هذا بسهولة، ومن دون أي اضطراب، باتهام المغتصب بذنب الاغتصاب العظيم، وبأنه يقوم بمراعاة المسلمين الذين يتولون مملكة غرناطة بتفويض منه، مقابل الجزية، والذين غالباً ما يقومون بقتل المسيحيين، ويمكن للمولى البابا أن يقول لهذا الذي هو تحت هذه التهمة الشديدة، والمهدد:«من أجل صالح الأرض المقدسة، نحن نرغب بمختلف الوسائل أن تقيموا السلام فيما بينكم».

ويبدو أن هذا الخلاف من الممكن فضه بكل سهولة:بأن نجعل الحفيد الأول ولادة يتولى مملكة غرناطة، وأن يتولى أخاه مملكة البرتغال، أو مملكة أخرى من الممالك الكثيرة التي هي بيد المغتصب، ويمكن للمغتصب الاحتفاظ شخصياً بمملكة كاستيل، بشرط أن يقوم بما لديه من قوات من الفرسان والرجالة بتقديم العون إلى مملكة غرناطة لطرد

جميع المسلمين منهـا، ولمقـاومـة المنفيين أينما تطلبت الحاجة، وعليـه الالتزام بهذه الشروط تحت تهديد فقدانه لمملكة كاستيل أيضاً، وسوف تكون خطة مفيدة القيام بإقناع الملوك المجاورين لتلك البلاد، وأقصد بذلك ملوك أراغـون، ونافار، ومايـروكا، والحكام الآخريـن حيثما كانوا في إسبانـيا، بمساعدة ملك غرناطة الجديد، والقيام بمحاصرة المسلمين والضغط عليهم من كل اتجاه، وبذلك يمكن طردهم بكل سرعـة، وإثر هذا يترك الآخـرون من ملوك إسبـانيـا وأمرائهـا، ملك غـرناطة ليقـوم بالدفـاع عن بلاده، ويقـومـون هم، مثلما هو مطلوب من الآخـرين، بالعبـور إلى الأرض المقـدسـة، وتقـديم مسـاعـدة كبيرة هناك، وبهذه الوسيلة من الممكن للانـغدوك حـشد جيش كبير، يمكنه العـبور إلى سردينيـا، ليحررها من فـردريك صـاحب أرغـون، الذي يتوجب عليـه وقتها إعادة مملكة صقلية إلى ملكها الشرعي.

١٠٤[63] : ومن أفضل الطـرق لتنفيـذ هذا المشروع القيـام بتنظيم أربعة جـيوش، تتوـجه ثلاثة منها وتـسافر بحراً، أـما الرابع وهو الأكبر فيتـوجـه عبر الطريق البري، وبذلك يحذو حـذو شـارلمان، والامبراطور فردريك الأول، وغودفري دي بوللیون، ولقد قام أعداء الإيمان بحصار عـدة أمـاكن والتضييق عليهـا، ولهذا فإن قـواهم متفـرقـة، ولذلك من الممكن طردهم بسرعـة أكبر، ومن المحتمل أنهم عندما يسمعـون بأخبار حلف السلام المذكور من قبل، وأنه قد أقيم من أجل محقهم، وأن هناك حشـوداً عظيمة من النـاس تزحف ضدهم وسـوف تزحف، وقتهـا من المحتمل أن يتخلوا عن طواعيـة عن جميع أرض الميعاد بلا حـرب، وإذا مـا فعلوا هذا من دون تدمير للقـلاع ولأماكن السكنى الأخـرى، ومن دون سلب الكنائس ونهب مـا فيهـا من آثار وآنيـة مقـدسـة، يمكن إعفـاءهم من نيل موت عنيف، والعكـس سوف يكون إذا مـا أبدوا أية مقاومة، فوقتها سيجري سحقهم كلياً، ولن يترك لهم مكان في البلاد.

وبعد هذا، سوف يحسن الأمراء صنعاً، في أن يتركوا في الأرض المقدسة قوة كافية للدفاع عنها، وأن يعودوا عبر طريق بلاد الاغريق، فوقتها سوف يكونون — بناء على نصيحة الكنيسة الرومانية — على استعداد للقتال بشدة لصالح اللورد شارل أوف فاليوس، ضد المغتصب غير الشرعي باليولوغوس[أندرونيكوس الثاني — ١٢٨٢ — ١٣٢٨]، ما لم يكن على استعداد للتخلي عن السلطة، وينبغي أن يكون هناك اتفاق سلفي، بأن يقوم اللورد شارل — بعد الحصول على النصر، وبعد تملكه للامبراطورية الاغريقية — بمنح فرصة لمعونة الأرض المقدسة، والدفاع عنها، كلما قامت الحاجة، لأنه سوف يكون الأقرب إليها من غيره من الأمراء،وعلى هذا سوف يكون حمله أخف بكثير، من حمل الأمراء الأبعد مسافة منه، كما سيكون مفيداً لملك ألمانيا، ولجميع الحملات المستقبلية المسيحية التي سوف ترسل لمساعدة الأرض المقدسة، حيث أيضاً من الممكن تنظيمها بشكل أكثر فعالية.

١٠٥ : وعندما — بنعمة من الرب — تكون هذه المشاريع قد نفذت، ـسوف يكون الكاثوليك من العقلية نفسها ـقد صاروا متملكين لشاطىء البحر المتوسط كله، الممتد من الغرب طوال الطريق إلى الشرق على الطريق الشمالي، مع الجزء الأعظم المصاقب لأرض الميعاد في الجنوب،ووقتها لن يكون بمقدور العرب الإزدهار بشكل ـمادي، ما لم يشاركوا مع الكاثوليك في تجارات منتجاتهم، وينطبق هذا على أحوال الشعوب الشرقية وعلى منتجاتها.

١٠٦[64] : ويتوجب أولاً فحص هذه الخطة المتصورة من قبل المشرعين المسيحيين مع نائب المولى يسوع المسيح على الأرض، وخليفة المبارك بطرس، أمير الرسل، وسوف تصل إلى حد الكمال بتوجيه من الرب الذي هو قائد الجيوش، ولعله يرضي صاحب الجلالة الملكية المجربة، فيتلطف بعد انتهاء هذه الحروب بنجاح، أن يطلب بصنع هذه

الأشياء، وأن يشرف على تنفيذها، مع الأفكار الإضافية التي ـقد تأتي إلهاماً من ينبوع الحياة، الذي عنه تصدر جميع المباركات.

ويبدو من المرغوب فيه، من أجل تنفيذ هذا المشروع، الالتماس من البابا أن يعقد مجمعاً عاماً على هذا الجانب من الجبال، من أجل تفحص هذه المسائل، وعليه أن يدعو إلى هذا المجمع الأساقفة، والأمراء الكاثوليك المطيعين له، لا سيما الملوك والآخرين الذين لا يعترفون بسيد لهم على الأرض، دون أن ينسى الباليولوغوس المغتصب لعرش القسطنطينية، ومغتصب مملكة كاستيل، وولدي أخيه اللذان يناضلان في سبيل العرش، وملك ألمانيا وناخبيه، فمن هؤلاء سوف يتلقى المشورة، والعون، والاقتراحات المساعدة في قضية الاسترداد، والاصلاح، والحفاظ على الأرض المقدسة، وكذلك حول كل ما يفيد الكومنولث المسيحي العالمي.

وبعد تحسين هذا الكتاب الصغير من قبل العقول المفكرة لخيرة الخبراء من قادة الحرب، ينبغي تقديمه إلى المولى البابا، من قبل رجال عقلاء جداً، وخبراء بالشؤون الانسانية، يمكنهم الرد على جميع الاعتراضات، وتجنب تحريضات ملائكة الشرور، ويتوجب اتخاذ التدابير التي تضمن أن يعرض فقط على الخبراء والمستشارين المقربين من السيد البابا، لأن من المؤكد أن هذا الكتاب التقوي الصغير، سوف يلقى — بتحريض من الشيطان ومن حشده الشائن — كثيراً من الخصوم الذين لا قيمة لهم، والذين سوف يعارضونه، ولسوف يقاتل الشيطان مع مؤيديه بشراسة ضد هذا الاندحار، الذي هو أعظم ما عانوه منذ حادثة آلام، وقيام الكلمة المجسدة، ولا أعتقد أن الطبيعة البشرية لأي إنسان حي مستعصية على مثل هذه الإثارات ما لم تلق الدعم من أبي الضياء الأبدي، من خلال ثبات ونشاط قدرته التي لا حدود لها.

وسوف يلاقي هذا المشروع، الذي هو بحدود طبيعة الأشياء الممكنة،

النجاح، إذا — بنعمة من الرب — ما تعاون بحرارة، من أجل تحقيق هدف هذه الخطة، ولدى تنفيذها، الوصي الرئيسي على سلامة الكومنولث هنا على الأرض[البابا]، وأكثر الأمراء خبرة في فن الحرب، وفي استخدام وممارسة الأعمال العسكرية[إدوارد الأول]، وذلك من أجل إطالةعمر، ليس فقط الحياة الروحية بل أيضاً الحياة الدنيوية، ومن أجل الرغبات السعيدة للانجاز لدى هذين الاثنين اللذان يحافظان بتقوى عظيمة على مصالح الأرض المقدسة، ويعتنيان بها، وسط كثير من مشاغلهما واهتماماتهما، وينبغي على كل واحد يهمل في سبيل هذا الهدف الرائع الاستمرار على الاعتماد بقلوب مؤمنة تقية وبصوت واحد، على الخالق الأعلى للحياة، الذي من خلال نفوذه وعنايته وحفظه تعيش جميع الأشياء وتستمر تبعاً لطبائعها، وبالاستمرار بالأخذ بالنهج الذي منحهم كل الفضائل التي يمتلكون.

١٠٧[65] : وبعد الفراغ من هذه المسائل، تقفزبحدة إلى الذهن حقيقة أن الناس سوف يشعرون بعدم الرضا، وسوف يتمتمون، لأنه لا في الماضي ولا في الحاضر، بدا أن الهبات التي منحت إلى الأرض المقدسة مع المبالغ الأخرى التي جمعت من أجل عون الأرض المقدسة باسم الداوية والاسبتارية، وبطرق أخرى متنوعة، بدا بوضوح أنها لم تستخدم لصالح ما جمعت من أجله، ويستحسن إلغاء، أو توزيع المنح التي أديرت بإهمال،بشكل نهائي.

ومن أجل إيقاف هذه المخالفات، سوف يكون مفيداً إقامة صندوق تبرعات عام في الكنيسة الكاتدرائية لكل أسقفية، أي إنشاء غرفة خزينة، يجري فيها حفظ الأموال التي كرست لهذا الهدف، وحيثما توفرت الحاجة لأية مساعدة، من الممكن تقديم الأموال ومنحها إلى المقاتلين الذين يستعدون للذهاب إلى تلك الأرض، ويكون ذلك بناء على توصية من الأسقفية المحلية، ومن إدارة المركز المتقدم

الذكر،والمقصود بالمقاتلين هنا، المقاتلين الذين ينتمون إلى الأسقفية، أو إلى أسقفيات أخرى، وهم على نية عبور البحر، وينبغي أن يبقى أعيان الناس في تلك الأسقفية، أو المقاطعة، أو المملكة، على دراية بالأمور، وأن تجري استشارتهم مع الأسقفية،وإذا ما جرى تنفيذ هذه الاصلاحات، سوف يجري تقديم المزيد — لا بل الكثير الكثير — من الهبات إلى المركز المتقدم الذكر، وينبغي إخراج الديون المستحقة له إلى النور، وهي الديون التي كانت قد فقدت من قبل نظراً للسكوت عنها، وبالنظر لتزايد الأموال ـسوف يمكن العثور على المقاتلين الجاهزين في كل مكان، وعندما تتوفر الحاجة إليهم.

ومن أجل تحقيق نتائج أكثر جاهزية، ينبغي اتخاذ قرار داخل المجمع يقضي بأن يعمل الأساقفة المحليون، وغيرهم من الأساقفة، والمبشرون، والـ Minorites، على حث وإقناع كل الناس مهما ـكانت مشاربهم في الحياة، على تطويع الناس البارعين من كلا الجنسين المفيدين للأرض المقدسة، ومن حيثما جاء هؤلاء الناس،يجب إرسالهم إلى السواحل مجهزين بجهاز حسن على حساب الذين طوعوهم، أو إذا تعذر ذلك ليكن على حساب بعض المحسنين الأتقياء، وهبات أخرى، ولسوف يجري إرسالهم عبر البحر على حساب المركز المتقدم الذكر، وينبغي إرسالهم على شكل مجموعات في كل مجموعة مائة رجل، قد ارتدوا زياً موحداً، والأعلام فوق رؤوسهم، والأبواق تصدح أمامهم، وبهذا يمكنهم الذهاب بشجاعة وحماسة، وبذلك يؤثرون على كثير من الآخرين حتى يلحقوا بهم، ويتوجب على الذين ينتمون إلى المدينةنفسها وإلى الأسقفية ذاتها، الاحتشاد في وقت واحد ومكان واحد، وفي مكان واحد فيما بعد للذين هم من الاقليم الواحد نفسه، وعلى الذين معهم زوجاتهم، الاحتشاد في جماعة واحدة، وينبغي أن يكون لكل جماعة ضابط رئيس واحد، يقدم الجميع إليه طاعة مطلقة.

وإذا ما كان لدى بعض الذين يودون العبور بعض الأطفال الصغار، عليهم إرسال القابلين للتعليم منهم إلى المركز المذكور حتى يتعلموا فيه على حسابه، وعندما يكملون تدريباتهم ويتعلمون، يمكنهم اللحاق بآبائهم ومن المتوقع أن تكون مختلف المقاطعات، والمدن، والأماكن متشوقة للاستيلاء على المناطق التي ستمنح لهم في الأرض المقدسة، وأن ترسل عدداً كبيراً من المستوطنين لكي يستولوا عليها ويستقروا بها بكل سرعة، ومن أجل أن يكون هؤلاء كافين للدفاع عنها، وينبغي أن يكون جميع الذين أرسلوا إلى هناك مدربين، حتى يكونوا قادرين على الفور القتال بكفاءة كجنود رجالة.

١٠٨ [66] : ولدى توزيع المدن والمناطق، سوف يكون مفيداً عدم نسيان المبادىء التالية،وذلك من أجل الصالح العام، والمعني بهذه المبادىء أن يكون هناك اتفاق في داخل المجلس من البداية،أن يجري تخصيص المدن الحدودية والحصون القائمة على الجبهة في الأرض المذكورة، إلى الرجال الأعظم نشاطاً، والذين اعتادوا في مواطنهم على القتال[ضد المسلمين] من أمثال الإسبان وآخرين كثر، وبذلك فإنهم بقتالهم من وراء الدفاعات ضد العدو — بقدر ما تتوفر الحاجة — يمكنهم حماية حدود الأرض المقدسة، ومدنها، وحصونها، وأن يكونوا مستعدين دوماً لاستدعاء النجدات من الآخرين، إذا ما اقتضت الحاجة، وهكذا عندما تحاط الأرض المقدسة بسياج من المقاتلين الشجعان، من الممكن الدفاع عن حدودها بشكل فعال وتتمكن المناطق الداخلية من الازدهار، ويتوجب أن تحكم الأرض المقدسة — بمعونة الرب — بعناية وتقوى فيما يتعلق كلياً بالسيفين: الروحي والدنيوي، وباحترام الأماكن المقدسة كما ينبغي، وبإجلالها، وبإقامة القداسات فيها بشكل متواصل، سوف يكون من الممكن تهدئة غضب مخلصنا، الذي، برحمته غير المحدودة، ارتضى أن يعاني الموت جسدياً هناك، من أجل

إنقاذ الجنس البشري.

[67] : إنه لمن الواضح، ومما يمكن البرهنة عليه من الكتابات المقدسة، وبوساطة حجج دامغة، أن إصلاح الأوضاع الخلقية والقيم في الكنيسة العالمية ضروري، وذلك إذا ما أريد إيقاف الحروب، واسترداد الأرض المقدسة — ذات السحر الخاص الذي تبرهن الكتابات المقدسة صحته — وإسكانها من قبل المسيحيين.

إن ذنب إنسان واحد هو سبب ضعفه، ومن خلال التكرار، سيكون سبب موت المذنب، ومن الممكن البرهنة على هذا من خلال كلمة الرب عندما قال إلى الإنسان المريض:«لا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشرّ»[يوحنا : ٥ / ١٤]، وبوساطة الفتوى المبنية عليها، وللسبب نفسه إن ذنب مدينة، أو ذنوب شيوخها هو سبب الخلافات، والحروب، والموت، والشيء نفسه ينطبق على ذنوب المناطق، والممالك، والامبراطوريات، لأنه مهما كانت العلاقة بين جزء وجزء، كذلك العلاقة بين كل وكل هي نفسها، والعكس هو صحيح، وحيث تتوفر الأسباب نفسها يتوفر الحق نفسه، وحيث يكون السبب نفسه، يكون التأثير نفسه، وذلك حسبما تعلن الشرائع، ويناضل منطق الفيلسوف في سبيله، وحسبما قال الرسول:«لأن كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا»،[رومية: ١٥ / ٤]، ونحن نرى أن الكتابات المقدسة، التي هي وسائل الفهم، الذي هو، إيمان، تحتوي في سفري المكابيين أنه لمدة تزيد على سبعين سنة كانت هناك ذنوب كثيرة، وموت كثير، وأحزان عظيمة، كلها قد حدثت من أجل الخير، بسبب ذنوب الناس الأشرار، فكيف يمكن لرئيس الكهنة، الحاكم على الكنيسة كلها، الشاغل لكرسي بطرس، نائب مولانا يسوع على الأرض، الذي ناضل بحماس من أجل خلاص المذنبين،كيف يمكن له أن يفكر أن الأرض المقدسة يمكن استردادها وإسكانها من قبل المذنبين وذلك في الوقت الذي كتب فيه

من قبل النبي:«الأماكن لا تمنح القدسية للناس، لكن الناس يمنحون الأماكن القدسية»؟.

أولا يرى أن الكتابات المقدسة، التي تمقت الحروب، والوعاظ الذين يعلنون هذا بالطول وبالعرض، أنهم غير مؤثرين الآن، كما كانوا في الماضي؟ ولو أنهم كانوا مؤثرين الآن وفيما بعد، أو لن تكون هذه الأمثلة نادرة جداً، لو أن جميع العالم الخاضع له أخذ بعين التقدير؟، أولا تظهر أعداد لا تحصى من إيضاحات الماضي وتجاربه منذ بداية خلق الدنيا، وتري وتبرهن — ما حرمه الرب — على بصيرة النظام الذي في الرؤوس الرئيسية لمثل هذا العدد من الأعضاء؟ ولسوف تستمر هذه الحالة المتردية من الأوضاع، ما لم يسعى في سبيل — ويحقق بأقصى سرعة ممكنة إيجاد — سلام صحيح، وكامل ومستمر، وإصلاح لأوضاع الكنيسة العالمية، وجميع كومنولث المسيحيين الخاضعين له، بحكم كونه أبوهم الأعلى، ولقد جرى تقديم خطة محكمة إليه، ومع أنها غير كاملة ومختصرة، من الممكن إيصالها إلى حالة الكمال من قبله، أو أن يقدم بإلهام رباني خطة أخرى أفضل منها،

١٠٩ [68] : يتوجب على الكاهن الرئيس، الراعي لجميع الناس، بحكم واجبه المتقيد به، أن يؤسس، وأن يضاعف جميع الروابط الممكنة لإتمام السلام، بين أبنائه، فذلك سوف يليه قيام سلام عالمي دائم، ومن الممكن البرهنة على الصحة المطلقة لهذا الاقتراح، ليس فقط بوساطة الاصلاحات اللاهوتية، بل أيضاً بوساطة الاصلاحات الفلسفية، لأن من المعروف أن الفلاسفة يعتمدون على القانون الطبيعي، ويرفضون القانون الموسوي، الذي منح روحياً إليهم من قبل بني إسرائيل، وبقياسهم الأمور منطقياً للوصول إلى محصلة ضرورية، وبإقامتهم مناظرتهم على السبب والتأثير، توصلوا إلى محصلة لا يمكن دحضها، بأن هناك ـفاعل أو رئيس، هو الذي يتولى تحريك جميع الأشياء لكنه لا

يحرك من قبل أحد منها، وهو المسبب لجميع الأشياء، وهو نفسه غير مُسبب، قد حقق وجوده فقط من خلال ذاته، وهي ذات خيرة، وبتوزيعها لخيراتها — وليس بشكل آخر — جعلت كل الأشياء تتسلم الخير منها وتشارك به، ومن جوهرها جاءت جميع الأشياء الخيرة والصادقة، والشيء نفسه ينطبق على جميع الفضائل التي قدرت في المحصلة، وندعو هذا الرئيس والمسبب الأول باسم الرب.

وفي أثناء حديث الفيلسوف في كتابه On meteors عن الرئيس، وحيث اقترح سبباً لتكوين العناصر قال هو الرب،وقال:«هكذا أوجدهم الرب الرائع والعظيم»، وقال في كتاب«حول السماء والأرض»:«لا يوجد شيء خلف السماء الأولى، غير مكان إقامة الرب، والأرواح، والفضيلة، والمجد إلى أبد الآبدين»، وأعتقد أن الرسول جيمس هو الذي قال عنه:«الذي معه لا يوجد تغيير، ولاأثر للتبديل»، والآن إنه هو الملك وصانع السلام ووالده، والشيطان هو والد وصانع الخلافات، والآثام، والكذب، ويتبع هذا بالضرورة أن جميع محبي السلام، والناس ذوي الفضائل، مهما كانت طبيعة الفضيلة أو سموها الخلقي، التي حصلوا عليها أو تمثلوها، يدعون أفاضل لأنهم شركاء في فضيلة الرب نفسه، وقد وصلوا إلى هذه الغاية قرباً أو التصاقاً تبعاً للدرجة التي شابهوه فيها، وشاركوه فيها بطبيعته، التي هي غاية بالبساطة، ومع هذا تحتوي وتتضمن جميع الأشياء ليس بسبب أنها كاملة، بل لأنها الأعظم كمالاً، والآن بسبب الاسم نجد أن الكمال هو الذي لا ينقصة شيء، ولهذا السبب القوي إن غاية الكمال، فريدة، لأنها تنطبق على واحد فقط، وذلك حسبما جاء في تعريف متفوق في الكتاب الخامس من«الميتافزيك»« يحتوي الكمال على كل شيء دونما نقصان».

ولهذا اعتقد جميع الفلاسفة أن جميع الفضائل في الرب في جوهره نفسه، والفضائل معه، وتصدر عنه، ويتشارك بها الناس من خلال

شبههم به، لكن الفيلسوف يقول:«الفضيلة عادة ليس من السهل تغييرها»، ونجد شهادة على صحة ذلك في الكتابات المقدسة حيث جاء«في حين يقارب الجميع الفضائل من أجل المكافأة، الذي يحافظ عليها وحده يتوج»، فقليلة هي المنفعة التي يحصل عليها المخفق في صنع أعمال جيدة بما أن المقترف في نقطة واحدة يعد مذنباً بالجميع.

ليقم أبو الأرواح جميعاً، الرسول الرئيس، بقراءة كيف أن الناس، منذ بداية الخليقة حتى الوقت الحالي، قد حرضوا بكل سهولة وأثيروا نحو الآثام والحروب، فهل يرغب بجعل جميع الكاثوليك يعيشون بسلام، وأن يكونوا بالتالي أبناء الرب، وأن يبتعدوا عن الخضوع للشياطين؟ وبما أن الوعظ والعقوبات المعتادة غير فعالة، عليه أن يمعن التفكير، بحكم الوظيفة المسندة إليه، وأن يسعى في سبيل سلام شامل، ثابت ومتين الأحوال، في كل مكان من العالم، سلام يمكن أن يستمر وأن يعيش أبداً، وعليه أن يقوم بتثبيت العقوبات من أجل خرق السلام، وأن تكون عقوبات يخشى منها، لكن أن تكون عملية، ونافعة، وقليلة الأذى، بالنسبة لاسترداد الأرض المقدسة والحفاظ عليها، وأن تفيد بالوقت نفسه كمذكر ومحذر دائم.

[69] : إذا كانت عقوبة النفي الدائم، وفقدان جميع الممتلكات سوف تكون مخشية أكثر من أي شيء آخر، لأنها سوف تطبق ليس على فاعلي الحروب بل على آبائهم، وأولادهم، وزوجاتهم،، وإذا كانت ستزيد من تقديم الرغبة المقترحة لمعونة الأرض المقدسة، دعونا إذن نختار رباط السلام، نظراً لتفوقه على غيره جميعاً، وإذا ما وجد رباط آخر أفضل، ليتم اختياره ،وكان بريسشان Briscian [النحوي ٥٠٠ ق.م] قد قال:« إنني أفترض أن ما من شيء في النوازع البشرية يمكن أن يكون كاملاً من جميع الجوانب»، وأعلن الفيلسوف العظيم في كتابه«السياسة»، أن هذاالذي ينبغي أن يفعل، وذلك عندما قال:«لأن ما ناله الناس من

معلومات ومن قناعات حول ما هو جيد وما هو عادل، لم تكن كافية، لقد وجد أنه من الضروري أن يتأسس في الدول قوة القسر لدى القاضي، من أجل أن يفعل الناس ما هو جيد وعادل لجيرانهم ولمعاصريهم، والذي قاله الفيلسوف نفسه في كتاب الأخلاق ويتماشى مع هذا هو:«لو أننا جميعاً أناساً عادلين(شرح: من الواضح أنه أراد الشعور الداخلي بالعدالة، الذي هو هبة وكمال العقل المنطقي) لما احتجنا إلى العدالة،(شرح: من الواضح أن العدالة في العلاقات الخارجية هي إجبارية من خلال القوة العسكرية)».

وهكذا لم تستطع لا أقوال الكتابات المقدسة، ولا وعظ الواعظين المستخرج من الكتابات المقدسة، ولا النحيب المتدفق، ولا صراخ الوعاظ، ولم تنجح في إيقاف الحروب المتوالية للكاثوليك، مع الموت الروحي والمادي لعدد كبير من عظماء الرجال، الناجم عنها، فلماذا لا يتبرهن أن اقتراح تقديم العون إلى الأرض المقدسة في النهاية هو مخرج جديد لاستخدام القوة العسكرية، وهذه عدالة من الضروري فرضها، كما هي، حسبما رأينا من الفرضيات الموضحة، ومما شهدت به الكتابات المقدسة إنها موجودة منذ بداية الخليقة؟.

وهذا طرح من المستحيل إجابته، متحدثين أخلاقياً وأدبياً، لأن«المناقشة ينبغي أن تكون متوافقة مع القضية قيد المناقشة»، فهذا ما قاله الفيلسوف، وجرى عرضه في القانون المدني، وعلى هذا الأساس قال الفيلسوف:«يخطىء الذي يطلب برهاناً واضحاً من الكلام المنمق، وحجة منطقية من الهندسة»، ولدى استخراج برهان ما من خلال الأسباب، من الضروري الاستخلاص والوصول إلى نتيجة، والنتيجة هي«عَرفَ»، إنما لدى الحديث بأدب من خلال فرضيات منطقية نحن نستخرج«حدساً» من الماضي والحاضر نحوالمستقبل، فلقد قال الفيلسوف:«يحدد أي شيء بأنه جميل جداً عندما يعطى تحديد الأشياء

بشكل متوافق مع السمات الظاهرة إلى جميع العقول»، ونقرأ في القانون المدني:«في القضايا غير المؤكدة هناك مكان للحدس»، ويفترض أن ذلك ليس في جميع القضايا بشكل مطلق، بل فقط في القضايا المنطقية والممكنة.

ونحن نرى أنه وفقاً للسبب العادي المتوفر للطبيعة الناس الفاسدين وميولهم نحو الشر، والانغماس باللذات، والشره هم دوماً بازدياد، وذلك في مقابل أننا نجد أن التقوى، والفصاحة، وتأثير معارف الوعاظ الذين يمقتون الحروب دوماً في نقصان، وإذا لم تتمكن تقوى، ومواعظ وفصاحة الآباء المقدسين من وضع حد للحروب المرعبة للكاثوليك، كيف يمكن للأب الرسولي أن يفترض أن بلاغة ومواعظ رجال الكنيسة الحاليين والمستقبليين، سوف تتمكن في المستقبل من وضع حد للحروب، وللانغماس باللذات وللشره الذي تسببه الحروب؟ وإذا لم يمكن إيجاد بعض العقوبات الأخرى التي من الممكن أن تكون مخيفة أكثر، وأعظم نفعاً، ينبغي تطوير هذه العقوبة ووضعها قيد التنفيذ، فبوساطتها سوف يزودنا ملك السلام بفضله ورحمته برجال عقلاء ومجربين، وبالقداسات المستمرة، وبالصلوات الدائمة المقدمة من الكنيسة المسكونية، ويمكن للمجمع المقدس للأساقفة، والأمراء أن يجتمع من أجل مناقشة، وإكمال، وتعديل، وتغيير هذه المقترحات، بشكل موائم جداً في طولوز، وذلك تفضيلاً لها على أية أماكن أخرى.

[انتهى هنا جزء الرسالة الذي جرى توجيهها إلى أدوارد الأول، وجرى توجيه الجزء التالي إلى فيليب الجميل].